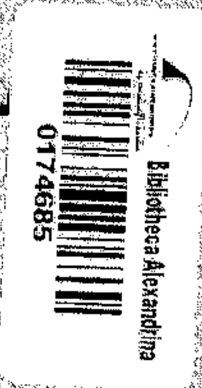
مسرحيات شكسبير

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية





نرى الخامس

ترجمة: الدكتور محمد عوض محمد



دار المعارف

مسرحيات شكسبير

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

هنري الخامس

ترجمة
الدكتور محمد عوض محمد

مراجعة
الأستاذ محمد بدران
الأستاذ محمد شفيق غربال



الناشر . دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة

فى بدء الفصل الخامس من مسرحية الملك هنرى الخامس ، يشير المعقب إلى حادث يجرى فى الوقت الذى ألفت فيه المسرحية. وهذه الإشارة قد حددت تاريخ تأليف المسرحية تحديداً يقرب من الدقة ، وجعلت من الممكن التأكيد بأنها قد تم تأليفها ما بين شهرى مارس وسبتمبر من سنة ١٥٩٩ وفى الأغلب تم تأليفها فى شهر يونيو أو يوليو من تلك السنة ، فهى إذن من مسرحيات العهد الوسيط فى حياة شكسبير الفنية ، تقترب فى الزمن من مسرحية يوليوس قيصر . ولا تسبق هملت بوقت طويل .

عالج شكسبير موضوعات كثيرة من تاريخ ملوك إنجلترا . وكانت معظم الحوادث فى تلك المسرحيات تدور حول نزاعات داخلية وخلافات وخصومات بين النبلاء ، كثيراً ما أدت إلى حروب داخلية طويلة . وتختلف « هنرى الخامس » بأنها تعالج موضوعاً خارجيًّا ، وهو غزو هنرى لفرنسا عام ١٤١٤ من أجل المطالبة بحقه بوصفه وريثاً لعرش فرنسا والدوقيات الملحقة به . وكان هنرى الرابع قد أوصى ابنه بأن يشغل النبلاء بحرب خارجية ، حتى لا ينهمكوا فى خصوماتهم المحلية . وكذلك كان رجال الدين يحبذون انشغال أولى الأمر بحرب فرنسا ، حتى لا يمضوا فى المطالبة بشطر كبير من أموال الكنيسة . إلى هذه الأسباب تعزى غزوات

هنرى الخامس . ولكن شكسبير بالطبع يتناول الموضوع بالطريقة التى تلائم غرضه . فهو يريد أن يرسم لنا بطلا ملكيًّا صنديداً ، حائزاً لكل الفضائل ، يجمع بين البراعة فى الحرب وبين نبل القصد ، والأمانة والإخلاص للدين . ومن أجل إتقان هذه الصورة التجأ إلى شىء كثير من تحوير حقائق التاريخ .

لم يلجأ شكسبير فى جمع مادته إلى المؤلفات والوثائق التاريخية الدقيقة ، بل اعتمد على مؤلفات كتّاب ذوى نزعة روائية مثل هول Hall وهولنشيد Holinshed . وكثيراً ما كان أشد غلوًّا منهم وإسرافاً . فى معركة آجنكور ، Agincourt وهى أهم حادث فى المسرحية كلها ، وصف شكسبير جيش الإنجليز بأنه يتألف من خمسة آلاف مقاتل يحاربون ستين ألفاً من الفرنسيين . ووصف جيش الإنجليز بأنه كان متعباً ممزق الثياب ، قد ألحت عليه الأسقام والعلل . والحقيقة أن جيش الإنجليز كان لا يقل عن ١٥,٠٠٠ وجيش الفرنسيين لا يزيد على ٣٠,٠٠٠ أكثرهم من المرتزقة .

وقد كان انتصار هنرى فى آجنكور راجعاً إلى الاعتماد على كتائب الرماية بالقسى والسهام ، لأن الفرسان عنده كانوا قلة . ومع ذلك لا يشير شكسبير بكلمة واحدة لهؤلاء الرماة ، اللذين كسبوا المعركة لإنجلترا . وذلك حتى لا يكون فى هذا إقلال من خطر بطله وقرة عينه الملك هنرى ، بأن يعزى النصر لأية قوة أخرى سوى قوته وهمته .

تنتهى معركة آجنكور فى الفصل الرابع وتاريخها عام ١٤١٤ ثم نرى

شكسبير يخصص الفصل الخامس لمعاهدة الصلح فى تروى Troyes حتى ليخيل إلى القارئ أن هذا الصلح جاء نتيجة مباشرة لموقعة آجنكور. مع أن تاريخ الصلح المذكور كان فى سنة ١٤٢٠ بعد آجنكور بخمس سنين . والحقيقة أن موقعة آجنكور لم تكن معركة فاصلة . فإن الملك هنرى ارتد بعدها إلى كاليه ، ومنها عاد إلى دوفر ولندن . واضطر لأن يجهز حملة أخرى على فرنسا سنة ١٤١٧ : ثم توسط الإمبراطور سيجسمند فى الصلح وكذلك دوق برجندى ، وحدث هذا الصلح فى تروى سنة ١٤٢٠ .. وقد اعتذر شكسبير للنظارة على لسان « المعقب » أو « الكورس » وطلب إلى المستمعين أن يستخدموا خيالهم ليتصوروا الأحداث الكثيرة ، التى لم يمكن عرضها على المسرح ، والتى جرت ما بين موقعة آجنكور وصلح تروى .

وليس بمستغرب من شكسبير أن يتصرف قليلا أو كثيراً فى حوادث التاريخ بما يلائم العرض المسرحى والمعالجة الفنية ، كما رآهما وتصورهما .

وقد كان زمن شكسبير فيما يبدو عصر تحمس وهياج وطنى ، وكان لابد له أن يجارى تلك الروح ، ولعله لم يجد فى ملوك إنجلترا الذين عالج تاريخهم فى مسرحيات أخرى ما يمكنه من مجاراة ذلك الهوس ، نظراً لغلبة النزاعات الوطنية والحروب الداخلية . وقد خيل إليه أنه وجد فى هنرى الخامس ضالته المنشودة ، ملكاً عظيماً ، يحارب أعداء إنجلترا وينتصر عليهم ؛ فمن الممكن أن يجعل من هذه الشخصية بطلا عظيماً ولذلك كتب

شكسبير مسرحية الملك هنرى الخامس بعناية ، ولكن تحمسه قد جعله يزج ببطله فى مواقف لا تخلو من السخف ، مثل حادث تبادل القفازات فى الفصل الرابع ، ومثل محاوراته الغرامية فى الفصل الخامس . ومع ذلك فإن فى المسرحية كثيراً من المواقف الرائعة ، وإن كان عنصر الخطابة قد طغى على أسلوب المسرحية . . .

ويقال فى تفسير غلبة عنصر الخطابة ، أن شكسبير أفهم أو قيل له إن موضوعاً كموضوع هنرى الخامس يجب أن يعالج بواسطة شعر الملاحم ، أو الشعر الحماسى ، ولا يصلح للشعر المسرحى . والظاهر أن شكسبير قر رأن يؤلف مسرحية حماسية ، تجمع بين خواص المسرحية وبين خواص شعر الملاحم . ولذلك ظهرت تلك القصائد الحماسية من آن لآن ، مثل خطبة هنرى لدى أسوار هارفلير ، وخطبه الأخرى فى مختلف الفصول ، وعلى الأخص فى الفصل الرابع .

واستعان شكسبير على الصياغة الحماسية باستخدام « المعقب » أو « الكورس » وهو لم يستخدم هذه الوسيلة بكثرة فى أية مسرحية أخرى . والكورس عند شكسبير شخص واحد . وليس جوقة أو مجموعة . ووظيفته أن يمهد للحوادث أو يعقب عليها أو يسد نقصاً أو فراغاً ، وذلك فى أسلوب شعرى حماسى ، يذكرنا بأشعار الملاحم . وإن كان يبدو لبعض النقاد سخيفاً واهياً فى غير موضع .

وهكذا اتفقت ظروف واعتبارات عديدة على أن جعلت لمسرحية

« الملك هنرى الخامس » مكاناً خاصاً فى مؤلفات شكسبير ، سواء من ناحية الموضوع أو من ناحية الشكل والصياغة الفنية .

أما الترجمة العربية فقد بنيت على النص الوارد بطبعة أردن الجديدة . وليس هنالك اختلافات كبيرة بين الشراح والنقاد .

وإلى جانب الصعوبات المعروفة المألوفة ، التى لابد لمن يتصدى لترجمة مسرحية لشكسبير من مواجهتها ، مثل الاستعارات والكنايات ، والجمل الاعتراضية الطويلة ، والتلاعب بالألفاظ الذى لا يمكن نقله إلى العربية ، ولو فى صورة تقريبية ، إلى جانب هذه الصعوبات المعروفة ، يجد من يحاول ترجمة الملك هنرى الخامس ، مشكلة خاصة من طراز جديد ، وهى الحوار الذى يدور فى مواضع عديدة باللغة الفرنسية ، أو بخليط من الفرنسية والإنجليزية . وقديبدأ متكلم كلامه بالإنجليزية ثم ينتقل فجأة إلى الفرنسية ، وبالعكس . . . وربما بدأ الأمير ولى العهد مثلا خطابه بالإنجليزية ، ثم تحول هو نفسه إلى الفرنسية إلى غير ذلك من التنوعات اللغوية ، الواردة فى هذه المسرحية . . وفى النقل إلى العربية لن تبدو هذه الاختلافات اللغوية ، وربما ضاع أثرها تبعاً لذلك إن كان لها أثر هام فى المسرحية ؛ على أن مثل هذا الأثر ليس بذى خطر . وذلك لأن تلك المواقف قليلة فى المسرحية ، ولأنها لا تصف جزءاً هاماً منها . ولو حذفت لما كان هنالك ضير كبير ، ولما نقصت المسرحية جزءاً خطيراً اللهم إلا ما ورد فى الفصل الخامس (الأخير) من حوار بين الملك هنرى وبين

خطيبته كترين ابنة ملك فرنسا ، فإنه مما يراه البعض مهمسا ، كما أن بعض النقاد يراه شيئاً تافهاً .

وقد اضطر المترجم لأن يورد كلمات إنجليزية أو فرنسية ، لم يكن بد من ذكرها إظهاراً لمعنى الحوار وجلاء للموقف . فإذا كانت الأميرة كترين تسأل وصيفتها ما معنى الذراع بالإنجليزية فلابد من النص على ذلك . ولابد من إيراد الكلمة كما تنطق بها السيدة أليس . كذلك عندما زعمت أليس هذه ، كاذبة ، أنها لا تعرف معنى كلمة التقبيل بالإنجليزية . فيذكر لها الملك الكلمة . لم يكن بد من أن يوردها المترجم بنصها .

هذا ما بدا للمترجم ذكره على سبيل التمهيد لهذه المسرحية ، ولعل القارئ أن يجد فائدة فى الهوامش التى أضيفت لشرح ما قد يكون خافياً على القارئ العربى .

والله ولى التوفيق . . .

محمد عوض محمد

أشخاص المسرحية

الملك هنرى الخامس

دوق جلوستر دوق بدفورد	أخوا الملك

دوق إكستر — عم الملك

دوق يورك — ابن عم الملك

لوردات برتبة أيرل :

سالزبرى ، وستمورلند ، ورك

رئيس أساقفة كنتربرى

أسقف إيلى

أيرل كامبردج

لورد سكروب

سير توماس جراى

سير توماس أربنجهام جور فلولن ماكموريس جامى	ضباط فى جيش الملك هنرى

بيتس . كورت. وليمس (جنود فى نفس الجيش) بستول . نيم . باردولف

غلام

مناد

شارل السادس — ملك فرنسا

لويس ، ولى العهد .

دوقات برجندى وأورليان وبرى وبريتانيا

وبوربون

القائد الأعلى لجيوش فرنسا

رامبورس وجرانبرى

مونجوى

حاكم هارفلير

سفراء لدى ملك إنجلترا

إيزابل — ملكة فرنسا

كترين — ابنة الملك شارل والملكة إيزابل

أليس — وصيفة الأميرة كترين

مضيفة حان أيستشيب واسمها فيما سبق

السيدة كويكلى وهى الآن زوج بستول

معقب

سيدات وسادة ، وضباط إنجليز

وفرنسيون وجنود . ورسل أتباع

المكان — إنجلترا ثم فرنسا

حياة هنرى الخامس

يدخل المستفتح[1]

ألا ليت الشعر نارٌ تشتعل ، وترقى إلى أبدع سموات الابتكار ؛
وليت المسرح مملكة ، والممثلين أمراء .
والنظارة ملوك يشهدون المنظر الرائع !
هنالك يبدو الغازى هنرى فى صورة تليق به .
له صولة مارس[2] وروعته ، وفى ركابه الجوع والحديد والنار ،
يسلطها على أعدائه كأنها كلاب صيد .
فاصفحوا إذن يا سادة عن هذه الكائنات التافهة[3]
التى تجرأت على عرض هذا الموضوع الخطير ، فوق هذا المسرح الحقير .
وهل تستطيع هذه الحفرة[4] أن تسع ميادين فرنسا المترامية الأطراف ؟

---

(١) فى الأصل يدخل Prologue أى الممثل الذى يقرأ البرولوج أو الفاتحة . ونفس الممثل سيتولى التعقيب على الحوادث أو التمهيد لها . وسندعوه عندئذ « المعقب » وهو فى الأصل يدعى كورس . والكورس عند شكسبير شخص واحد وليس جوقة أو مجموعة .

(٢) هو المريخ إله الحرب.

(٣) إشارة إلى الممثلين .

(٤) لعل الإشارة إلى مسرح من طراز خاص منخفض وسط المقاعد والنظارة .

وهل يجوز لنا أن نحشر فى هذه الدائرة الخشبية ،
تلك الخوذات ، التى ارتعد لها الهواء فى آجنكور ؟
العفو إذن! ، فربما استطاع رقم صغير أن يعبر عن المليون ، على ضآلة حجمه.
فدعونا ، وإن لم نكن سوى أصفار فى هذا المشروع الخطير ،
نعمل على إثارة مخيلتكم .

فتصوروا أن هذا النطاق من الجدران يحتوى مملكتين عظيمتين ،
يفصل بين تخومهما المتقاربة بحر محيط ضيق شديد الخطر [١]
فلتسدوا ما بنا من نقص — بخيالكم .
واجعلوا من الرجل الواحد ألفاً من الرجال
وتخيلوا أمامكم جيشاً جراراً
وإذا ذكرنا الخيل فتخيلوا أنكم ترونها رأى العين ،
وهى تطبع حوافرها على أديم الثرى .
فإن خيالكم وحده الذى يستطيع أن يستعرض ملوكنا
ويتنقل بهم من مكان إلى مكان ويخطو بهم الأيام والأعوام [٢] .
حتى تحصروا أعمال السنين العديدة فى ساعة من الزمان .
واجعلونى « المعقب » فى هذه الرواية حتى أعاونكم على تتبعها
وهأنذا أفتتحها بأن ألتمس منكم أن تنصتوا فى أناة إلى مسرحيتنا
وأن تحكموا عليها برفق (يخرج)

---

(١) يريد مضيق المانش .
(٢) تمتد حوادث المسرحية من عام ١٤١٤ إلى ١٤٢٠ م .

الفصل الأول

المنظر الأول – حجرة انتظار فى قصر الملك

يدخل رئيس أساقفة كنتربرى ، وأسقف إيلى

كنتربرى : أقول لك يا سيدى اللورد إن القانون المقدم ، هو نفس القانون[1] ، الذى سبق تقديمه فى العام الحادى عشر من حكم الملك السابق، بل لقد تمت الموافقة عليه رغم اعتراضنا، لولا أن ما ساد العصر من الاضطراب والهياج حال دون المضى فى تنفيذه .

إيلى : وكيف يا سيدى اللورد نقاومه الآن ؟

كنتربرى : لابد من التفكير فى الأمر . فلئن أبرم بالرغم منا ، فقدنا النصف الأحسن من ممتلكاتنا .
لأن جميع الأراضى التى تملكها الكنيسة والتى وقفها الصالحون من الناس ،
وأوصوا بها للكنيسة ، ستنتزع منا ، وقيمتها مقدرة هكذا :
تمجيداً لجلالة الملك ، يخصص من الأموال ما يكفى ،
لاستخدام خمسة عشر نبيلا بلقب إيرل ، وألف وخمسمائة من الفرسان[2] .

---

(١) قانون يضع الأراضى الموقوفة على الكنيسة تحت تصرف الملك ، وكان معروضاً على البرلمان المؤلف من رجال الدين والنبلاء و « العموم » .

(٢) أى الذين منحوا لقب سير .

وستة آلاف ومائتين من السادة الطيبين ،
ثم ما يكفى لرعاية المجذومين والشيوخ الضعاف
والفقراء المعوزين غير القادرين على العمل الجسمى
وتزويد مائة بيت لإيواء المساكين بجميع حاجاتها .
وفوق ذلك يدفع لخزانة الملك ألف جنيه كل عام،
هذا ما ينص عليه القانون .

ايلى : ولكن هذا يعبّ مالنا عبًّا .

كنتر برى : يعب حتى لايذر فى الكأس قطرة .

ايلى : فكيف السبيل إلى منعه ؟

كنتر برى : إن الملك ممتلىء كرماً وحسن رعاية .

ايلى : ومحب صادق فى الحب للكنيسة المقدسة .

كنتر برى : لم يكن فى مجرى شبابه ما يبشر بذلك .
ولكن لم يكد والده يلفظ النفس الأخير ،
حتى بدا وقد ماتت نزعات الشر فى نفسه وأدركها الفناء أيضاً .
أجل لقد أتاه العقل فى تلك اللحظة ، كأنه مَلَكٌ نزل ،
فطرد آدم الآثم من جوفه ،
تاركاً جسده كجنة الفردوس ،
لا يشتمل إلا على الأرواح السماوية .

وليس يعرف أن رجلا عالماً قد تكون بمثل هذه السرعة .
أو أن الإصلاح جاء يوماً كالطوفان بتياره الجارف ،
فاكتسح العيوب والنقائص فجأة .
أو أن المكابرة ، ذات الرءوس المتعددة كالهيْدرا[1]
ينالها الضعف وتذهب ريحها ، بمثل تلك السرعة التى
حدث بها هذا كله للملك .

إيلى : إن هذا التحول نعمة وبركة علينا .

كنتربرى : أنصت إليه وهو يناقش فى الدين ، فلا تتمالك من شدة
الإعجاب أن تود من صميم قلبك لو أن الملك كان قسيساً .
ثم استمع إليه وهو يجادل فى شئون الدولة .
تحكم بأن هذه دراسات انقطع لها دون سواها .
وانصت إليه إذ يتكلم على الحرب . تسمع قصة المعارك
المرعبة ،
وهى تُسرَدُ بفصاحة تبعث الطرب .
واصغ إلى كلامه على مشاكل السياسة
تجده يحل أشدها تعقيداً ، كما يحل رباط ساقه

(١) حيوان خرافى يشع له رءوس عديدة . قاتل هرقل واحداً منها له تسعة رءوس ، كلما قطع رأساً نبت مكانه رأس آخر . إلى أن ألقيت شعلة نار على مكان الرأس المقطوع فأمكن القضاء على الوحش .

إن الرياح التى لها الحق أن تهب وتعصف ، تهدأ وتسكن
حين يتحدث .
والإعجاب الصامت يكمن فى الأذن ،
يسترق من جمله المعسولة حلاوتها وعذوبتها .
إن التجارب وفنون الحياة العملية
هى القوة التى تخلق هذه الأفكار البارقة .
لهذا كان عجباً أن اقتبسها جلالته ،
وقد كان مدمناً لمسلك العبث .
رفاقه من ذوى الجهل والخشونة والتفاهة ،
يقضى الساعات ، فى اللهو والولائم واللعب ،
ولم يعرف عنه يوماً الانصراف إلى الدرس .
أو الابتعاد عن الأماكن التى تغشاها العامة ،
أو الامتناع عن مخالطة السوقة .

إيلى : إن نبات الشليك ينمو تحت شجر العوسج ،
والفاكهة الشهية تزداد ازدهاراً ونضجاً .
إذا نمت فى جوار شجر من نوع أحط .
وهكذا أخفى الأمير أفكاره
وراء ستار الطيش والحماقة ،
وما من شك فى أن تلك الأفكار قد نمت ،

كما ينمو كلأ الصيف ، فهو أسرع ما ينمو بالليل ،
فلم نكن نراها ، ولكنها كانت تقوى وتعظم فى عقله .

كنتربرى : لا بد أن يكون الأمر كما تقول ، لأن عصر المعجزات
قد انقضى ،
ولا بد لنا أن نسلم بوجود الأسباب التى تبلغ بالأمور إلى
درجة الكمال .

إيلى : ولكن يا سيدى اللورد ، ماذا نعمل لتخفيف حدة هذا
القانون ؟
الذى يؤيده العموم ، هل تظن أن جلالته
يميل إليه أو لا يميل؟

كنتربرى : يبدو لى أنه على الحياد
أو لعله أكثر ميلا إلى جانبنا منه إلى جانب المؤيدين .
فقد عرضت على جلالته ، أثناء محادثاتنا الروحية ،
بعض الشئون التى تهمنا الآن
وفاتحته فى أمرها بالتفصيل ،
وعرضت عليه من أجل استرداد فرنسا ، مبلغاً من المال ،
يفوق ما تبرعت به الكنيسة فى أى وقت من قبل لأجداده .

إيلى : وكيف تقبل الملك هذه الهبة يا سيدى اللورد ؟

كنتربرى : تقبلها جلالته بقبول حسن .

ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت .
لكي أسمعه ما كان يتوق جلالته لاستماعه فيما يبدو لى ،
من التفاصيل والنصوص الواضحة ،
التى تثبت حقه الصريح فى طائفة من الدوقيات ،
وفى تاج فرنسا وعاصمتها بوجه عام .
وهو الحق الذى آل إليه وراثة عن جده الأكبر إدوارد[١] .

إيلى : وما العائق الذى حال دون إتمام الحديث ؟

كنتربرى : سفير فرنسا الذى أرسل فى تلك اللحظة يلتمس المثول بين يديه .
وأظن الساعة قد حانت ليحظى بالمقابلة ، هل نحن فى الساعة الرابعة ؟

إيلى : نعم .

كنتربرى : إذن لنذهب لكى نعلم ما رسالته ،
وإن كان بوسعى أن أتكهن من فورى بفحواها .
قبل أن ينطق الفرنسى بكلمة منها .

* * *

(١) يتهم بعض المؤرخين المتقدمين أن الكنيسة حرضت هنرى على غزو فرنسا لتصرفه عن مشروع القانون ، الذى يستولى على ممتلكاتها ، ولكن شكسبير أراد أن يمجد بطله فجعله هو صاحب الرأى والمتصرف .

المنظر الثانى — نفس المكان ، حجرة الاستقبال .
يدخل الملك هنرى ، وجلوستر ، وبدفورد ، وكلارنس ،
ووريك ، وستمورلند وإكستر والحاشية .

الملك هنرى : أين صاحب الفخامة رئيس أساقفة كنتربرى ؟

إكستر : إنه ليس فى الحضرة .

الملك هنرى : أرسل فى طلبه يا عماه !

وستمورلند : هل ندعو السفير للمثول بين يدى مولاى ؟

الملك هنرى : لا تَدْعُهُ بعد يا ابن العم . فلابد قبل الاستماع إليه
أن نتخذ قراراً فى بعض الشئون ذات الخطر ،
التى تشغل بالنا ، وتهمنا وتهم فرنسا .
(يدخل رئيس أساقفة كنتربرى وأسقف إيلى)

كنتربرى : الله وملائكته يحرسون عرشك المقدس ،
ويجعلونك جديراً به زمناً طويلا .

الملك هنرى : لك شكرى الخالص .
أيها اللورد الواسع العلم ، نرجوك أن تبادر فتكشف لنا ،
بروح من العدل والدين ، لماذا كان ذلك القانون السالى [١] ،

---

(١) القانون السالى Salic Law استخدم لتبرير حرمان وراثة العرش على البنات أو من جاء من نسلهن . والاسم مشتق من اسم أحد الفرنجة ويرجع الاسم إلى النهر الذى كان يعرف باسم سالا ويعرف الآن باسم ايسل .

الذى استنوه فى فرنسا ، يحول أو لا يحول دون نيل حقنا ؟
ومعاذ الله ، أيها اللورد العزيز الأمين ،
أن تُكَيِّفَ أو تحوّر أو تدوِّر النصوص .
أو أن تُثقل ضميرك بالأوزار بما تدلى به من حجج بارعة ،
لا تتفق حقيقتها اتفاقاً تامًّا مع الواقع ؛
فالله يعلم كم من أناس يتمتعون اليوم بالصحة ،
وسوف يسفكون دمهم تأييداً لما تحرضنا عليه أيها السيد المحترم.
إذن كن على حذر ، وأنت تورط شخصنا ،
أو توقظ سيف حربنا من رقدته .
أستحلفك باسم الله أن تكون على حذر ،
فلم يسبق أن اختصمت مملكتان كهاتين ،
دون أن يراق فى خصامهما الدم مدراراً .
وكل قطرة من قطراته ويل وثبور ،
يحلان بمن كان إثمهم فى شحذ السيوف .
التى تشيع الخراب وتزهق الأرواح .
تكلم إذن أيها اللورد ، تحت سلطان هذا القسم .
وسنصغى إليك ، ونتدبر كلامك ،
مؤمنين بأن كل ما تنطق به
قد تطهر فى ضميرك ، كما يتطهر الآثم بالتعميد .

كنتربرى : استمع إلىّ إذن ، أيها الملك الجليل ، وأنتم كذلك أيها النبلاء ، الذين تدينون بأنفسكم وحياتكم ومناصبكم لهذا العرش الإمبراطورى .

ليس هناك عائق يا مولاى دون نيل حقكم فى فرنسا .
إلا هذا الذى ينسبونه إلى الملك فراموند ،
بأنه لا يجوز للمرأة أن ترث العرش فى أرض الساليين
ويزعم الفرنسيون زوراً أن أرض الساليين هى مملكة فرنسا ،
وأن فراموند هو الذى سن هذا القانون
لمنع النساء من تولى العرش .
فإن المؤلفين الفرنسيين يؤكدون بإخلاص
بأن أرض الساليين تقع فى ألمانيا ،
ما بين مجرى نهر الألب وسالا ،
حيث استطاع شارل الأكبر بعد أن أخضع السكسونيين .
أن يُسكن هناك طائفة من الفرنسيين ، وخلفهم وراءه .
وهؤلاء نظروا إلى نساء الألمان نظرة احتقار ،
لما رأوا فى عاداتهن من البعد عن العفة ،
فسنوا هذا القانون ، الذى يقضى
بأنه لا يجوز للأنثى فى أرض الساليين أن ترث ،
وهذه الأرض واقعة كما قلت بين نهرى ألب وسالا ،
وهى فى ألمانيا وتدعى اليوم ميسن .
من الواضح إذن أن القانون السالى
لم يسن من أجل بلاد فرنسا ،

ولم يستول الفرنسيون على بلاد الساليين
إلا بعد وفاة الملك فراموند بأربعمائة وواحد وعشرين عاماً ،
وهو الذى زعموا خطأ أنه واضع ذلك القانون .
وقد مات فى سنة ستوعشرين وأربعمائة بعد ميلاد مخلصنا
وفادينا :
أما شارل الأكبر فقد أخضع السكسونيين ،
وأنزل الفرنسيين وراء نهر سالا عام ثمانمائة وخمسة .
وفوق ذلك يقول كتابهم : إن الملك بيبن ،
الذى خلع الملك تشلدريك ،
بنى مطالبته واستحقاقه لعرش فرنسا ،
على أنه الوريث الشرعى إذ ينحدر من بليتهلدا بنت الملك
كلوثير .
كذلك هيوكابوت ، الذى اغتصب تاج شارل دوق لورين .
الوريث الوحيد الذكر المنحدر من نسل الملك شارل الأكبر
وصلبه ،
ألبس دعواه بعض مظاهر الوجاهة ،
وإن كانت فى الحقيقة بيِّنة الفساد والبطلان ،
بزعمه أنه من نسل الأميرة لينجارى ، بنت شرلمان ،
ابن الإمبراطور لويس بن الملك شارل الأكبر .

وكذلك الملك لويس العاشر ،
وهو الوريث الوحيد لذلك المغتصب كابيت ،
لم يسترح ضميره ، ويرضى بأن يلبس تاج فرنسا ،
إلا بعد أن اقتنع بأن جدته الملكة إيزابل الطيبة ،
من نسل الأميرة إرمنجارى ،
ابنة شارل دوق لورين السابق ذكره .

وقد كان ذلك الزواج وسيلة للاتحاد من جديد
بين أسرة شارل الأكبر وتاج فرنسا .

وهكذا يبدو واضحاً وضوح شمس الصيف
أن حق پيپن فى العرش ، ودعوى هيوكابيت ،
ورضى الملك لويس ، تستند كلها إلى حق الأنثى ،
وكذلك الحال بالنسبة لملوك فرنسا إلى يومنا هذا .

وبرغم ذلك يتمسكون بهذا القانون السالى ،
ليبطلوا به حقكم عن طريق الأنثى ،
ويلجأون إلى سلسلة من المغالطات المعقدة ،
بدلا من التسليم بأن القانون نفسه ينقض حقوقهم الملتوية ،
التى اغتصبوها منك ومن آبائك .

الملك هنرى : أيجوز لى إذن أن أطالب بهذا الحق وأنا مرتاح الضمير ؟

كنتربرى : لتقع جريرة هذا الأمر على رأسى ، أيها الملك المهاب ،
لقد جاء فى سفر العدد من الكتاب المقدس
أنه «أيما رجل مات وليس له ابن تنقلون ملكه إلى ابنته»[١]
فيا أيها الملك الجليل ، تمسك بحقك ، وانشر رايتك الحمراء.
أذكر أجدادك الأمجاد !
واذهب يا مولاى إلى قبر جد أبيك ،
الذى تستمد منه حقك[٢] .
واستلهم روحه المحبة للحرب ،
وروح أخى جدك ، إدوارد الأمير الأسود ،
الذى مثل فى أرض فرنسا مأساة هائلة
وأوقع هزيمة ساحقة بجيوش فرنسا كلها ،
وأبوه القوى الجبار واقف على كثيب باسماً ،
إذ يرى شبله يفترس أشراف فرنسا ويريق دماءها .
فما أعظم أولئك الإنجليز ، الذين استطاعوا بنصف مقاتليهم ،
أن يواجهوا جيش فرنسا الكامل ،

---

(١) أى إذا مات وليس له ولد ذكر . كما جاء فى السفر المذكور إصحاح ٢٧ آية ٨. وقد اختصر العبارة كنتربرى لأن النص مشهور معروف .

(٢) هو إدوارد الثالث ، الذى كان هنرى يطالب بعرش فرنسا بسببه ، لأن أم إدوارد هى إيزابللا ، بنت فليب الرابع ملك فرنسا .

بينما وقف النصف الآخر ، يرقب ضاحكاً
لا يعمل عملا ، ويشكو البرد لأنه لا يقاتل[١] .

الملك : أحْيِ ذكرى أولئك الموتى البواسل .
وجدد مجدهم بذراعك القوية المتينة .
فأنت وارثهم وتجلس على عرشهم ،
وتجرى فى عرقك نفس الدماء والهمة التى اشتهروا بها .
ومولاى صاحب المجد المؤثل
هو اليوم فى ربيع شبابه الزاهر .
مُهيّأً للانتصارات الباهرة والمشاريع المجيدة .

اكستر : إن إخوانك من ملوك الأرض وأقيالها .
ينتظرون منك أن تهب وتنهض
كما فعل الأسود السابقون من أسرتك .

وستمورلند : إنهم يعلمون أن لجلالتكم حقاً ،
ولا تعوزكم الوسيلة والبأس .
وكل شىء فى متناول يدك .
ولم يكن للملك فى إنجلترا من قبل نبلاء أغنى ،

---

(١) فى المعركة المشار إليها كان جيش الإنجليز مقسما ثلاث فرق : اثنتان تحاربان ، والثالثة واقفة مع الملك كقوة احتياطية ، ومع أن هذا شىء مألوف عادى غير أن شكسبير خلق منه هذه الصورة الخيالية .

ورعية أطوع مما لديك .
وكلهم قد خلفوا قلوبهم مرابطة فى ميادين فرنسا ،
وليس لهم هنا فى إنجلترا سوى أجسادهم .

كنتر برى : دع أجسامهم ، أيها المولى العزيز ! تلحق بالقلوب ،
لكى تكتسب حقك بالدماء والسيف والنار .
وسنساعد فى هذا ، نحن الرؤساء الدينيين ، رعيتك
بأن نجمع لجلالتكم مبلغاً ضخماً من المال ،
لم يسبق لرجال الدين أن قدموا مثله
لواحد من أسلافك .

الملك هنرى : إن علينا ألا نكتفى بأن نتسلح لغزو فرنسا ،
بل نوفر أيضاً القوة اللازمة للدفاع ضد الإسكتلنديين ،
الذين لن يلبثوا أن يغيروا علينا ،
والظروف كلها مواتية لهم .

كنتر برى : سيكون أمراء أقاليم الحدود
أيها الملك الجليل بمثابة سور منيع ،
يكفى لأن يحمى بلادنا من لصوص التخوم .

الملك هنرى : لسنا نقصد بكلامنا اللصوص الفرسان الخطافين خفيفى
الحركة ، وحدهم .
بل نخشى ما يبيته الإسكتلنديون عامة ،

الذين كانوا دائماً جيرة سوء لنا .
وما أحسبك إلا قرأت أن جدى الأكبر
لم ينتقل بجيوشه مرة إلى فرنسا ،
إلا تدفق الإسكتلنديون إلى مملكته ،
المجردة من وسائل الدفاع
كما يتدفق مد البحر من فجوة فى الجسر ،
مندفعاً بكامل قوته وعنفوانه .
فيعذبون البلاد العزلاء بغاراتهم الحامية ،
ويرهقون الحصون والبلدان بالحصار المرير .
حتى باتت إنجلترا الخالية من كل دفاع ،
وهى ترتعد فرقاً من شر أولئك الجيران .

كنتربرى : لقد أصابها يومئذ من الخوف
أكثر مما نالها من الأذى يا مولاى .
وحسبكم أن تستمعوا إلى قصتها . وهى تعتمد على نفسها .
عندما كان فرسانها جميعاً فى فرنسا ،
وهى كأرملة تلبس الحداد على نبلائها .
يومئذ لم يكفها أن دافعت فأحسنت الدفاع عن نفسها .
بل أسرت ملك الإسكتلنديين
وحبسته فى الحظيرة كالدابة الضالة .

ثم أرسلته إلى فرنسا لكى تزيد به شهرة الملك إدوارد
بحيازة الأسرى من الملوك .
ولكى يمتلىء سجلها فخاراً ، يعادل ما امتلأ به قاع البحر
من السفن المحطمة والكنوز الثمينة .

ايلى : ولكن فى الأمثال عبارة مأثورة صادقة وهى :
إن أردت الظفر بفرنسا ،
فابدأ أولا بأيقوسيا .
فإن النسر الإنجليزى لا يكاد يندفع وراء فريسته ،
حتى يبادر الوزع الإسكتلندى إلى عشه
متسللا ليمتص البيض الرفيع الشأن .
ويتلف ويدمر أكثر مما يستطيع أن يأكل ،
كما تفعل الفأرة فى غياب الهرة .

اكستر : وهذا معناه أن الهرة يجب ألا تبرح الدار .
غير أن الحاجة لذلك أصبحت اليوم أقل مما كانت .
فقد صارت لدينا أقفال تحمى المدخرات ،
وفخاخ بديعة لصيد اللصوص الحقراء .
ولئن كانت ذراعنا المدرعة تحارب فى الخارج ،
فأن الرأس الحازم لباق فى الوطن ليدافع عنه .
لأن الدولة بطبقاتها : عالية ومتوسطة وواطية ،

تظل وإن تفرقت متحدة الغرض
متعاونة تعاوناً تامًّا وطبيعيًّا لتحقيق الهدف .
كأنها نغمات الموسيقى .

كنتربرى : من أجل ذلك شاءت العناية الإلهية
أن تنقسم شخصية الإنسان إلى وظائف شتى :
كلها تعمل وتجد فى حركة دائمة ،
تلازمها وتوجهها قوة واحدة وهى الطاعة .
على هذا النحو تعمل النحل المنتجة للشهد .
فهى كائنات علمتها غريزتها النظام الدقيق
فى مملكة آهلة بالسكان ،
لها ملك وضروب من الرؤساء :
بعضها كالشرطة تتولى النظام والحكم فى الداخل ،
وبعضها كالتجار ، يسعون وراء التجارة الخارجية ،
والبعض كالجنود ، تنطلق وسلاحها إبرها .
فتفترس براعم الصيف الناعمة ،
وتحمل هذه الغنيمة فى مرح وسرور إلى مساكنها ؛
فتضعها فى الخيمة الملكية بين يدى عاهلها ،
الذى يشرف بجلاله وعظمته على البنائين ،
إذ يشيدون سقوفاً من الذهب ، وهم يرتلون الأناشيد .

وعلى المدنيين وهم يضعون العسل وسط إطار من الشمع ،
وعلى العمال المرهقين ، وقد تزاحموا
ليلقوا بأحمالهم الثقيلة على بابه الضيق .
وقد جلس القاضى عابساً متجهماً ،
لكى يصدر إلى الجلادين أحكامه على الكسالى والمتثائبين .
وهكذا يبدو لى أن أشياء كثيرة
قد تعمل فى صور متعارضة .
مع أنها موجهة كلها إلى هدف واحد .
كأنها سهام عديدة أرسلت
من نواح مختلفة لتصيب غرضاً واحداً .
أو كأنها طرق متعددة تلتقى كلها فى بلدة واحدة .
أو أنهار عذبة تلتقى فى بحر ملح ،
واحد أو كخطوط المزولة تتحد كلها فى وسطها .
شأنها فى هذا شأن آلاف الأعمال
تبدأ وتنتهى جميعها إلى غرض واحد .
وكلها ينفذ ببراعة وينهى إلى النصر .
إلى فرنسا إذن ، أيها المولى :
قسم بلادك إنجلترا السعيدة أربعة أقسام :
وخذ منها الربع إلى فرنسا ،

وبهذا الربع ستجعل فرنسا كلها ترتعد فرقاً .
فإذا كنا ونحن فى أوطاننا ، ولدينا ثلاثة أمثال تلك القوة
عاجزين عن أن نحمى أبوابنا من الكلب ،
فهنالك يحق لنا أن نتزعج ،
ولأمتنا أن تفقد ما اشتهرت به من القوة وحسن السياسة .

الملك هنرى : ادع الرسل الذين أوفدهم ولى عهد فرنسا !

(يخرج بعض الحاشية)

الآن صحت عزيمتنا ، وبعون الله وعونكم
أيها النبلاء ، يا عماد بأسى وقوتى .
وما دامت فرنسا من حقنا فسنخضعها لسلطاننا ، أو نمزقها إرباً .
هنالك فلنتبوأ مقعدنا ، ولنحكم
— بكل ما لنا من السلطان الواسع والجاه — .
على فرنسا ، وما بها من دوقيات تكاد تضارع الممالك .
وإلا فلتوار هذه العظام فى حفرة حقيرة ،
لا فى ضريح مشيد ،
وليس عليها نصب تذكارى .
فإما أن يتحدث تاريخنا بطلاقة عن أعمالنا ،
بفم قوى ملآن ، أو يكون لقبرنا فم بلا لسان

كأنه عبد تركى أخرس[1] .
ولا يزينه شاهد . ولو كان مصنوعاً من الشمع[2] .

(يدخل سفراء فرنسا)

الآن نحن على استعداد لأن نعرف
ما يبغيه ابن عمنا ولى العهد ،
فقد سمعنا أنكم تحملون تحية منه لا من الملك .

السفير : هل يتفضل جلالة الملك فيأذن لنا
أن نؤدى بحرية الرسالة التى نحملها ،
أو نكتفى بأن نذكر فى تحفظ وبوجه عام
ما قصده ولى العهد وفحوى رسالتنا ؟

الملك هنرى : ما نحن بالطاغية ، بل نحن ملك مسيحى ،
تخضع له عواطفنا كما يخضع أشقياؤنا المقيدون داخل السجون .
لهذا نريد أن تبلغنا رسالة ولى العهد
بحرية وصراحة تامة .

---

(١) إشارة إلى أن القصور التركية القديمة كان بها بعض العبيد الذين قطعت ألسنتهم كيلا يبوحوا بالأسرار .

(٢) الشواهد نصب أو لوحات تقام على القبور تسجل اسم الميت وأعماله ، وهى عادة من الرخام .

السفير : إذن فها هي ذي بإيجاز :
إن جلالتكم أرسلتم أخيراً
تطالبون بدوقيات بعينها ،
بدعوى أنها حق لكم عن جدكم العظيم الملك إدوارد الثالث . .
ورداً على هذه الدعوى يقول سيدى الأمير :
إنكم متأثرون تأثراً شديداً بحداثة سنكم .
ويسألكم أن تتدبروا الأمر ؛
فليس فى فرنسا شيء يكتسب بالرقص الخفيف الرشيق
ولن تستطيعوا أن تأخذوا دوقيات هناك باللهو واللعب .
لهذا أرسل لكم هذا القدر الكبير من الكنوز ؛
يراها أكثر ملاءمة لروحكم .
وفى مقابل ذلك يريد منكم ألا تعودوا
إلى ذكر تلك الدوقيات التى تطالبون بها .
هذا ما يقوله ولى العهد

الملك هنرى : وما تلك الذخائر أيها العم ؟

السفير : كرات تنس يا مولاى .

الملك هنرى : يسرنا أن يداعبنا ولى العهد على هذا النحو ،
ونحن نشكر له هديته ، ولكم ما تكبدتم من عناء .
وإذا ما هيأنا مضاربنا لتلك الأكر ،

فستنطلق إلى فرنسا
وهناك بفضل الله
سنلعب شوطاً يقذف بتاج أبيه داخل الهدف[1]
قل له إنه تحدى خصما
سيجعل فرنسا كلها تموج بالهزائم .
إننا مدركون مقصده تماماً ،
وكيف يعيرنا بأيام الشباب ،
دون أن يقدر ما أفدناه منها ،
إننا لم نكن نقيم وزناً لعرشنا الحقير فى إنجلترا[2] .
لذلك أسلمنا أنفسنا للهو والمرح ، ونحن نعيش هنا .
فقد جرت العادة أن الناس تزداد سعادتهم إذا نأوا عن أوطانهم .
فقل لولى العهد إنى سأحافظ على دولتى ،
وإنى سأنهج نهج الملوك .
وسأبدى ما فى عظمتى من القوة والبأس ،
يوم أنهض وأتبوأ عرشى فى فرنسا .

(١) كانت سن هنرى فى ذلك الوقت ٢٧ عاماً . وكان التنس فى عصر شكسبير يلعب بكرات من الجلد محشوة بالشعر ، وتحيط بالملعب جدران أربعة ، وفى وسط جدارين متقابلين ثقوب واسعة وهى الأهداف ، ويكون الفوز لمن يقذف الكرة داخل أحد تلك الأهداف .

(٢) يقول هذه العبارة وما بعدها على سبيل التهكم .

من أجل هذه الغاية ادّخرت عظمتى وجلالى ،
وعملت دائباً كل يوم كأنى من عامة الناس .
لكنى سأنهض هناك فى هالة من المجد الرائع ،
تغشى لها جميع الأبصار فى فرنسا ،
أجل وسيصاب بالعمى ولى العهد لمجرد رؤيتنا .
وقل لذلك الأمير العابث إن دعابته هذه
أحالت كرات التنس إلى قنابل .
وإن روحه ستتألم حين تُتّهم
بأنها السبب فى هذا الانتقام الذريع .
الذى سيتطاير مع تلك الأكر . . .
فكم من آلاف الأرامل يحرمن أزواجهن بسبب هذه السخرية
وكم من أمهات سيفقدن أبناءهن ،
وكم من حصون ستدك ،
وأنفس لم تخلق بعد ولم تولد
ستلعن ولى العهد — ويحق لها أن تلعنه — على سخريته .
على أن هذا كله خاضع لإرادة الله .
فإليه أبتهل ،
وباسمه تعالى أسألكم
أن تبلغوا ولى العهد أنى قادم فوراً .

لأثأر لنفسي كما ينبغي لي أن أثأر ،
ولكي أبسط يدى صاحبة الحق ،
لأتناول بها حقّي المقدس .
فاذهبوا إذن في أمان .
وقولوا لولي العهد إن دعابته ،
ستكون دليلا على ضعف فطنته
يوم يكون الباكون يربون على الضاحكين منها ، آلافاً مؤلفة .
احرسوهم أثناء سفرهم : في رعاية الله

(يخرج السفراء)

وستمورلند : يا لها من رسالة مرحة !

الملك هنرى : إنا لنرجو أن نجعل مرسلها يحمر منها خجلا .
لهذا أيها اللوردات لا تضيعوا كل ساعة
تتاح لكم ، لتبادروا بإعداد حملتنا .
فليس يخطر لنا اليوم خاطر سوى فرنسا ،
اللهم إلا ما يحب لله سبحانه وتعالى .
والاهتمام بهذا مقدم على كل شيء .
فاعملوا إذن على جمع القوات اللازمة ،
لهذه الحروب بمنتهى السرعة .

ولا تغفلوا التفكير فى أى شيء
من شأنه أن يضيف ريشة إلى أجنحتنا .
حتى تنطلق بأقصى سرعة ممكنة .
فإننا — والله هادينا ومرشدنا —
سنتولى تقريع ولى العهد هذا على باب أبيه ،
فليُعمِل كل منا عقله وتفكيره ،
حتى نستطيع أن نبادر بتنفيذ هذه الخطة .

(يخرجون — طبل وأبواق)

* * *

الفصل الثانى

يدخل المعقب

أصبح شباب إنجلترا اليوم ناراً تشتعل ؛
قد انصرف عن اللهو وأودع أثوابه الحريرية الخزائن .
الآن تروج بضاعة صانعى السلاح ،
والشرف وحده هو الفكرة السائدة فى صدر كل رجل .
إنهم يبيعون الحقول ليشتروا الجياد ،
ويسيرون وراء المثل الأعلى للملوك المسيحيين جميعاً .
ويطيرون إلى غايتهم بأقدام مجنحة ،
كأنهم عطارد فى زى إنجليزى[1] .
والآن قد اتخذ « المقدر المنتظر » مقعده فى السماء ،
وهو يخفى سيفاً قد حلى نصله ، الذى لا تراه العيون ،
بتيجان ثلاثة : صغير وكبير وجليل .
وقد أعد هذا السيف لهنرى وتابعيه[2] .

(١) كان القدماء يتخيلون عطارد ، رسول الآلهة لابساً قلنسوة ذات أجنحة ونعلا مجنحاً لكى يطير بسرعة فشبه المؤلف الفارس الإنجليزى بعطارد ، والخيل له بمثابة الأجنحة .

(٢) الإشارة إلى سيف كسيف إدوارد الثالث ، والعيون لا ترى السيف لأن الاستعداد للحملة يجرى فى الخفاء ، وإن كانت عيون فرنسا أدركت الأمر كما يبدو فى السطر التالى :

إن الفرنسيين ليرتعدون فرقاً
منذ نبأهم جواسيسهم المهرة بهذه الاستعدادات الهائلة .
فدفعهم الرعب إلى الدسائس ، يحاولون بها أن يصرفوا
الإنجليز عن أغراضهم .
ويحك إنجلترا ! إنك تمثال لما احتويت من العظمة ،
كأنك جسد صغير له قلب جبار .
إن كل ما تريدين عمله ، ستعملينه بنبالة وشرف ،
إذا كان جميع أبنائك بررة مخلصين .
ولكن انظري كيف أظهرت فرنسا ما بك من نقص
وكشفت عن عصابة فارغة الجيوب والقلوب[1] .
فأخذت تملؤها بالدنانير الآثمة .
ثلاثة رجال فاسدون : أولهم رتشارد ، إيرل أوف كامبردج ،
ثانيهم هنرى لورد سكروب أوف ماشام ،
وثالثهم سير توماس جراى فارس من نورثمبرلند . .
ارتكبوا الإثم من أجل ذهب فرنسا ،
وتآمروا مع فرنسا الخائفة الوجلة
على أن يقتلوا بأيديهم زين الملوك فى سوثمبتن .
قبل أن يركب السفينة إلى فرنسا .

(١) جيوبها فارغة من المال وقلوبها من العاطفة الوطنية .

إذا قدر للشر والخيانة الفوز والظفر .
فليكن الصبر رائدكم حتّى نقوم بما يتطلبه تغيير المكان[١]
وتنسيق المسرحية .
لقد دُفع المال ، وقبل الخونة ارتكاب الجرم .
وسافر الملك من لندن .
والآن ينتقل المسرح يا سادتى إلى سوثمبتن .
فهناك مسرحنا الآن . وهناك تجلسون ،
ومن هناك سننتقل بكم إلى فرنسا آمنين
ثم نعود بكم ، وقد سحرنا المضايق ليكون عبوركم سهلا هيناً .
فلا تتأذى معدة واحدة من تمثيلنا إذا استطعنا
فلنبدل المنظر إذن إلى سوثمبتن ، وننتظر ريثما يجىء الملك .
ولا نبرحها حتّى يحضر .

(يخرج)

* * *

(١) تغيير مكان حوادث المسرحية ، كأنه يعتذر من كثرة تغيير المكان وما فى ذلك من مخالفة للمبادئ المسرحية المعروفة ، وهى وحدة الزمان والمكان والموضوع . ولم يكن شكسبير يعبأ بها .

المنظر الأول — شارع فى لندن

يدخل الأونباشى نيم والملازم باردولف

باردولف : نعم اللقاء يا أونباشى نيم !

نيم : عم صباحاً ، أيها الملازم باردولف !

باردولف : عجباً أما زلت أنت وحامل القلم بستول صديقين وفيين ؟

نيم : أما أنا فلست أعبأ به ، وألتزم جانب الصمت ؛ ولكنى أبتسم ، إذا كان ذلك ملائماً لغرضى . والأمر فى ذلك يرجع إلى الظروف . لست أجرؤ الآن على مقاتلته ، وسأغض الطرف ، وأستبقى سيفى . إنه من طراز بسيط ؛ ولكن ما أهمية هذا ؟ أنى أشوى به الجبن ، وهو يحتمل البرد الشديد[1] كأى سيف آخر . وهذا كل ما فى الأمر .

باردولف : سأعد حفلة غداء لأجعلكما صديقين ؛ وسنكون نحن الثلاثة إخوة أقسموا اليمين على العمل فى فرنسا . فتقبل هذا الرأى ، أيها الأونباشى الطيب نيم .

---

(١) يستخدم نيم سيفه بمثابة سفود ليشوى به الجبن ، وهذا يرفع حرارة المعدن ، ثم يجىء الليل ببرودته الشديدة . فلا يتأثر السيف بتقلبات الحرارة ، دلالة على أن معدنه جيد . وسيدخره للوقت المناسب للانتقام مع بستول .

نيم : لعمرى إنى سأحيا ما استطعت الحياة . هذا ما لا شك فيه ، فإذا لم يكن من الموت بد ، فسأفعل ما لا أستطيع عمله . هذا عزمى . وهذا ما وطنت النفس عليه .

باردولف : صحيح إذن أيها الأونباشى أنه قد تزوج من نل كويكلى ، إنها بلا شك قد أساءت إليك بهذا لأنك كنت خطيبها .

نيم : لا أستطيع التكلم فى هذا الأمر . ولابد للأمور أن تسير فى مجراها . فربما نام الناس ، ولهم فى ذلك الوقت حناجرهم . ولكن يزعم البعض أن للخناجر حدًّا ماضياً . فلتجر الأمور فى سبيلها ، وإن يكن الصبر فرساً متعباً ، ولكنه سيبلغ الغاية . .
ولابد لكل أمر من نهاية ، لكن لا أستطيع الكلام .

(يدخل بستول ومعه السيدة المضيفة)[1]

باردولف : ها هوذا حامل العلم بستول وزوجه قد أقبلا . أيها الأونباشى الكريم استمسك بالصبر .
مرحباً مرحباً ، أيها المضيف بستول !

بستول : أتدعونى أيها الوغد مضيفاً ؟
أقسم بيمينى هذه أنى أحتقر هذا النعت ،

---

(١) أى صاحبة « الفندق » ، وزوجها المضيف «رب المنزل» . ويبدو أن ألسنة السوء تناولت « الفندق » بالتجريح . ولذلك يغضب حامل العلم حين يدعى المضيف .

وإن زوجتي نل لن تقبل النزلاء .

المضيفة : كلا لعمري ، لن يطول قبولي للنزلاء .
فقد بات من المستحيل أن نؤوى ونطعم بضع عشرة من السيدات ،
ممن يعشن أشرف العيش من أسنة الإبر ،
دون أن نُتَّهم بأننا فتحنا بيتاً للدعارة .
(ترى نيم) رحماك أيتها العذراء ، ها هوذا ها هنا .
ولن نلبث حتى نرى الشر والقتل يُرتكبان .
(يجرد بستول ونيم سيفيهما)

باردولف : أيها الملازم الطيب ، أيها الأونباشي الصالح ، لا تفعلا شيئاً هنا .

نيم : اخسأ ! . .

بستول : اخسأ أنت أيها الكلب الإيسلندي ، ذو الأذن المدببة .

المضيفة : أيها الأونباشي الطيب نيم ، أظهر شهامتك بإغماد سيفك .

نيم : أتحداك أن تذهب لكي ألقاك في معزل .

بستول : في معزل أيها الكلب الغليظ ، أيها الأفعى الشريرة !
معزل في وجهك الدميم أيها الوغد .
ومعزل في حلقك وفي أسنانك ،
بل وفي رئتيك الكريهتين ، أجل وفي معدتك وأيم الحق .

بل وشر من ذلك فى فلك القدر !
هأنذا أرد المعزل إلى أحشائك[1]
لأنى أقبل التحدى ؛ وقد التهب غيظ بستول ،
وستندلع النار بعد ذلك .

نيم : ما أنا بالعفريت بربازون ، ولن تؤثر فى عزائمك . ومزاجى الآن أن أضربك الآن ضرباً متقناً ؛ ولئن أكثرت من البذاءة ، لأجيلن سيفى فى بطنك دون أن أخالف الأصول المرعية . أجل لعمرى . وإذا انطلقت من هنا ، فإنى أطعن أحشاءك طعناً هينا حسب الأصول المرعية ، أجل لعمرى . هذا هو مزاجى .

بستول : أيها الجعجاع الدنىء ، والمخلوق الحانق اللعين !
إن القبر فاغر فاه ، والموت الزؤام قريب .
جرد سيفك .

باردولف : استمعا وأنصتا لما أقول : أقسم بشرفى شرف الجندى ، لأطعنن بسيفى من يضرب الضربة الأولى طعنة نجلاء .

(يجرد سيفه)

بستول : إن هذا القسم عظيم . ولابد للغضب أن تهدأ سورته . .

---

(١) فى هذه الشتائم يتبع بستول « العزائم » التى تتكرر فيها الكلمة الواحدة . ويراد بها استبعاد الأرواح أو العفاريت . ولذلك يرد عليه نيم أنه ليس عفريتاً حتى يتأثر بهذه العزائم.

ناولني مخلبك ، أعطني قدمك الأمامية[١] . .
لقد أبديت شجاعة فائقة .

نيم : سوف أذبحك ، يوماً ما ، بشروط عادلة .
هذا هو مزاجي .

بستول : تقطع رقبتي !
هذا ما تعنيه . إذن أتحداك مرة أخرى .
يا كلب أقريطش ، أتريد أن تظفر بزوجتي ؟
كلا . . . بل تذهب إلى المستشفى ،
وهناك تلتقط ، مما تلفظه أحواضها ،
المخصصة لمعالجة الرذيلة .
عاهراً مجذوبة من طراز كريسيدا ،
واسمها دُلْ تيرشيت ، وإياها تتزوج[٢]
أما أنا فإني مالك وممسك زوجي .
تلك التي كانت تدعى كويكلي : وليس لي امرأة سواها .

---

(١) يخاطب نيم كأنه من ذوات الأربع .

(٢) ينصح بستول لغريمه ساخراً ، أن يبحث له عن زوجة مجلوبة ، ممن عوبجن من المرض السري في أحواض خاصة بالمستشفيات ، طبقاً للمتبع في زمن المؤلف : والاسم المذكور Dall Tearcheet لامرأة كانت عشيقة لفالستاف وجاء ذكرها في مسرحية هنري الرابع أما كريسيدا فشخصية من قصص الإغريق قضى الإله زحل بأن تصاب بالجذام .

والآن حسبك هذا واخسأ

(يدخل غلام)

الغلام : سيدى المضيف بستول . يجب أن تحضر فوراً لمقابلة سيدى[١] . ومعك مضيفتك . لقد انتابه مرض شديد ، ويريد أن يأوى إلى فراشه . أرجوك يا سيدى باردولف ، أن تضع وجهك بين الملاءات . لتكون بمثابة المدفأة . فلعمرى إنه سقيم جداً .

باردولف : انصرف أيها الشقى !

المضيفة : سوف يشنق مولاك هذا يوماً ما ، وأيم الحق . ويغدو طعاماً للغربان . فإن الملك قد ملأ قلبه رعباً . أيها الزوج عد إلى الدار بسرعة .

(تخرج المضيفة والغلام)

باردولف : والآن ، أما آن لى أن أجعل منكما صديقين ؟ لابد لنا أن نرحل إلى فرنسا معاً . وماذا عساه يجدينا أن ندخر الخناجر ، ليقطع بها بعضنا رقاب بعض ؟

بستول : دع الفيضان يعلو ثم يعلو . والشياطين تزأر طالبة الطعام !

---

(١) سيده هو فولستاف وقد غضب عليه الملك هنرى منذ تولى الملك . والظاهر أن مسرحية هنرى الخامس كانت تشتمل على دور لفولستاف ، حذفه شكسبير بعد ذلك . وبقيت إشارات قلائل تدل عليه .

نيم : وهل تدفع إلىّ الشلنات الثمانية ، التى كسبتها منك فى المراهنات ؟

بستول : وضيعٌ وعبدٌ ذليلٌ من يدفع ما عليه .

نيم : لابد لى أن آخذ حقى الآن . هذا هو مزاجى .

بستول : هذا أمر تقرره الشهامة .هلم جرّد !

(يجردان سيفيهما)

باردولف : أقسم بسيفى هذا ، لأقتلن من يطعن الطعنة الأولى أجل لعمرى ، لأقتلنه بسيفى هذا .

بستول : السيف قسمٌ عظيم ، ولابد لكل قسم أن يجرى مجراه .

باردولف : يا أونباشى نيم ، إن رغبت فى الصداقة ، فكن صديقاً له ، وإن لم ترغب فلتكن عدوًّا لى أنا أيضاً . فاختر لنفسك ما يحلو .

نيم : وهل آخذ الشلنات الثمانية ، التى كسبتها فى المراهنات ؟

بستول : ستأخذ نوبل[1] . والدفع فوراً
وستنال أيضاً من الشراب نصيباً .
وستجمع بيننا أواصر الصداقة والأخوة :
وسأعيش مع نيم ، ويعيش نيم معى .

---

(١) Noble قطعة قيمتها ستة شلنات وثمانية بنسات . لا وجود لها الآن .

أليس هذا منتهى العدل ؟
سأتولى تموين المعسكر ، وستتراكم الأرباح .
ناولني يدك .

نيم : هل أحصل على ذلك النوبل ؟

بستول : ستناله نقداً ، بالعدل والقسط .

نيم : حسن ، إن هذا هو مزاجي .

(ترجع المضيفة)

المضيفة : بحق أمهاتكم اللائي ولدنكم ، أسرعوا لإسعاف سير جون .
يا له من مسكين إنه يرتعد من لهيب الحمى اليومية الثلاثية ،
ومرآه يبعث الألم ،
فهلموا إليه أيها الرجال الكرام .

نيم : إن الملك قد أنزل الملل والأسقام بالفارس[1] ،
وهذا هو سر توعكه .

بستول : نطقت يا نيم بالصواب ، فلقد تحطم قلبه وأصبح خليقاً بالرحمة .

نيم : إن الملك من خيار الملوك ، ولكن له تصرفاته ،
وكثيراً ما يدفعه مزاجه لأعمال ونوادر .

---

(١) الفارس أي من يحمل لقب سير والمقصود هنا سير جون فولستاف .

بستول : لنذهب لمواساة الفارس . لأننا سنعيش حياتنا وادعين كالحملان .

(يخرجون)

* * *

المنظر الثانى : فى سوثمبتن

حجرة المجلس

يدخل الوردات إكستر ويدفورد ووستمورلند

بدفورد : لعمر الله إن جلالته لجرىء جداً إذ يثق بأولئك الخونة .

إكستر : إن أمرهم سينكشف عما قليل .

وستمورلند : شد ما يظهرون النعومة والهدوء .
كأن صدورهم قد تربع فيها الولاء .
متوجاً بتاج الإيمان والإخلاص الدائم .

بدفورد : إن الملك على علم بما اعتزموه ،
وقد كشف سرهم بوسيلة لا يحلمون بها .

إكستر : أجل ، ولكنى أعجب للملك الرجل ، الذى كان خليطه المقرب[1] .

---

(١) الإشارة إلى لورد سكروب Scroop of Masham

والذى غمره الملك بالهبات السنية والمنح الجزيلة
كيف استحل أن يبيع حياة مولاه للموت والخيانة .
من أجل بدرة من المال ينالها من الأجنبى الدخيل .
(ينفخ فى الأبواق ، ويدخل الملك هنرى واللوردات سكروب وكامبردج وجراى والحاشية)

الملك هنرى : الآن تهب الرياح رخاء ، وسنبادر بركوب السفن .
فيا أيها اللورد كامبردج ، ويا لورد ما شام الشفيق .
وأنت أيها الفارس الرقيق ، أشيروا على بما ترون :
ألا ترون أن الجيش الذى نزحف به ،
سيشق طريقه وسط قوات فرنسا ،
ويقوم بإبرام الأمر ، وتنفيذ الخطة ،
التى من أجلها حشدناه وقدناه ؟

سكروب : لا شك فى هذا يا مولاى ، ما دام كل رجل يبذل قصارى جهده .

الملك هنرى : لست أشك فى هذا ، وإننا جميعاً لمقتنعون .
إننا لم نصطحب معنا من ديارنا هذه .
إلا كل قلب يتفق وإيانا تمام الاتفاق .
ولم نخلف وراءنا شخصاً واحداً

لا يتمنى أن يصاحبنا النجاح والنصر .

كامبردج : لا أعرف ملكاً له فى النفوس ما لجلالتكم من المهابة والحب .
ولا أظن أن بين الرعية شخصاً
يعيش بقلب حزين قلق ،
فى ظل حكومتكم الرشيدة الكريمة .

جراى : هذا صحيح . فإن الذين كانوا أعداء لأبيك
قد سكبوا العسل على ما فى صدورهم من المرارة .
وأخذوا يخدمونك بقلوب خلقت من الحماسة والشعور بالواجب .

الملك هنرى : هذا سبب عظيم لما نحسه من الحمد والشكر .
وأجدر بنا أن نغفل عن أداء عملنا
من أن نغفل عن مكافأة كل مستحق
جدير بالمكافأة على قدر استحقاقه وجدارته .

سكروب : لهذا ستشمر الخدمة عن سواعدها الفولاذية .
والجد الدائب يستمد القوة من الأمل ،
ويعمل الجميع فى خدمة جلالتكم بهمة لا تعرف الونى .

الملك هنرى : وهذا رأينا أيضاً ، فيا أيها العم إكستر ،
اطلق سراح الرجل ، الذى حكم عليه بالسجن أمس

لأنه تطاول على شخصنا .
فإنا نرى أن الإفراط فى شرب الخمر دفعه لذلك .
وقد صفحنا عنه بعد أن تاب وأناب .

سكروب : هذا من الرحمة . ولكن فيه إفراطاً فى الاطمئنان .
فدعه أيها الملك يلق عقابه ، وإلا كان مثلا سيئاً .
وكان الصفح عنه مكثراً من أمثاله .

الملك هنرى : دعونا نكن رحماء .

كامبردج : هكذا تكونون يا مولاى ، وإن عاقبتم أيضاً .

جراى : مولاى إنك لعظيم الرحمة إذا وهبته الحياة .
بعد أن يذوق ما يستحقه من العقاب .

الملك هنرى : مما يؤسف له أن إفراطكم فى حبى ورعايتى .
لهو حجة قوية على هذا التعس الشقى !
ولكنا إذا لم نغض الطرف عن الأخطاء الصغيرة ، الصادرة عن حماقة ،
فكيف تكون نظرتنا عندما نرى أمامنا جرائم ضخمة ،
قد مُضغت وابتُلعت ، وهُضمت ، فكأنها لم تكن ؟
لقد قررنا إطلاق سراح هذا الرجل ،
على الرغم من رغبة كامبردج وسكروب وجراى فى عقابه
إمعاناً منهم فى رعايتنا والمحافظة على شخصنا .

والآن ، فلننظر فى شئوننا الفرنسية :
أين الضباط الذين عينوا أخيراً ؟
كامبردج : أنا أحدهم يا مولاى ،
وقد أمرتنى أن ألتمس براءة رتبتى اليوم .
سكروب : وأنا كذلك تلقيت من مولاى مثل هذا الوعد .
جراى : وأنا أيضاً يا جلالة المليك .
الملك هنرى : إذن هاك وثيقتك يا رتشارد إيرل كامبردج .
وهذه لك يا سكروب لورد ماشام
وأنت أيها الفارس السير هنرى لورد نورثمبرلند : هذه وثيقتك .
اقرأوها ، وأيقنوا أنى عارف أقداركم .
ويا أيها السيد اللورد وستمورلند ويا عمى إكستر
ستقلع بنا السفن الليلة .
ما خطبكم أيها السادة !
ماذا رأيتم فى هذه الأوراق حتى امتقع لونكم ؟
انظر إليهم كيف تغيرت سحنتهم !
خدودهم استحالت كلون الورق ،
ماذا عساكم قرأتم فى تلك الصحائف ،
حتى تملككم الخوف ، وطرد الدماء من محياكم ؟

كامبردج : إنى لأقر بذنبى وأرفع أكفّ الضراعة إلى رحمة جلالتكم .

سكروب وجراى : وإليها نضرع نحن أيضاً .

الملك هنرى : إن تلك الرحمة التى كانت منذ لحظة تملأ قلبنا
قد أزهقت وقتلت بناء على رأيكم ونصحكم .
ما ينبغى لكم ، والعار يجللكم ، أن تجرأوا على التماس
الرحمة .
فإن الأسباب التى ذكرتموها ترتد إلى صدوركم ،
كأنها كلاب تنقلب لافتراس أصحابها .
انظروا أيها الأمراء والأشراف إلى هذه الضوارى الإنجليزية .
هذا لورد كامبردج ، وكلكم يعلم كيف كانت محبتنا له .
تدفعنا لأن نبذل له عن رضى ،
جميع المخصصات اللائقة بمقامه ،
وهذا الرجل نفسه فى سبيل قطع خسيسة من النقود ،
لم يتورع عن التآمر بطيش ونزق
وأقسم يمين الخيانة ، متواطئاً مع فرنسا .
على قتلنا ها هنا فى سوثمبتن
كما أقسم لنفس الغرض هذا الفارس
الذى غمرناه بفضل لا يقل عما غمرنا به كامبردج .
ولكن ماذا عسانى أقول فيك أنت يا لورد سكروب

أيها المخلوق الممتلئ قسوة ووحشية ونكراناً للجميل !
أنت الذى كنت تحمل مفاتيح أسرارى كلها ؛
نافذاً ببصرك إلى أبعد أعماق نفسى .
حتى لقد كنت تستطيع أن تجعل من شخصى ذهباً نقداً ،
لو أنك أردت أن تستخدمنى فى مختلف أغراضك[1] .
أيمكن للأجنبى أن يستأجرك أنت ،
لكى يستخرج منك شرارة واحدة من الشر ،
يصل أذاها إلى أطراف أناملى ؟
إن من العجب أن عينى لا تكاد تستطيع أن تتصور هذا الأمر .
على الرغم من وضوحه التام ، وضوح السواد إلى جانب البياض .
إن الخيانة والقتل طالما تصاحبا وتعاونا ،
كأنهما شيطانان متآخيان ، أقسما أن يؤيد أحدهما الآخر .
ولكن أمرهما لم يثر أية دهشة
لأن ما يرتكبان متفق تماماً مع طبعهما .
أما أنت فقد خرجت على كل طبع مألوف .
ولذلك جعلت الدهشة تقترن بالخيانة والقتل .

---

(١) إشارة إلى أنه كان وزيراً للخزانة مسيطراً على المال .

وأياً كان ذلك الشيطان الماكر الخبيث ،
الذى استطاع بتأثيره أن يحولك عن طبعك ،
فإنه قد نال فى الجحيم مكانة رفيعة لتفوقه ونبوغه .
إن غيره من الشياطين التى تغرى بالخيانة ،
تحاول أن تخفى ما انطوت عليه الخيانة من اللعنة ،
بأن تلبسها أثواباً براقة خلابة ، ومظاهر خداعة .
وتلتمس لها من الأعذار الكاذبة ما يجعلها تبدو كأنها عمل صالح .

أما الشيطان الذى أغراك ، فقد جعلك تأتمر بأمره ،
ولم يمنحك أى عذر لارتكاب الخيانة والإثم .
اللهم إلا الإنعام عليك بلقب الخائن .
ولو أن هذا الشيطان نفسه الذى أغواك على هذا النحو ،
استطاع أن يجوب العالم بخطى الأسود ،
لرجع من تجواله إلى بؤرة الجحيم ، والعذاب الأليم ،
وقال للزبانية : « إنى لن أستطيع أن أغوى نفساً
بمثل السهولة ، التى أغويت بها هذا الإنجليزى » .
فيا عجبا كيف لوثت بالحسد والضغينة
ما كان فيك من إخلاص ووفاء
لئن امتاز الناس بأداء الواجب ، لقد كنت أنت كذلك ،

ولئن امتازوا بالجد والعلم ، لقد كنت أنت كذلك ،
ولئن كانوا ذوى حسب ونسب ، لقد كنت أنت كذلك ،
ولئن كانوا ذوى تقوى ودين ، لقد كنت أنت كذلك .
ولئن امتازوا بالزهد فى الطعام والشراب .
والبعد عن الشهوات ، وعن الإفراط فى الضحك والغضب ،
والثبات الروحى الذى لا تزعزعه النزوات والأهواء .
وكانوا فى زيهم وبزتهم يجمعون بين الكمال والجمال ،
لا ينخدعون بما تراه العين ، أو تسمعه الأذن .
ولا يعتمدون فى حكمهم العادل على إحداهما ،
لقد كنت تبدو كذلك ، مبرأ من كل عيب .
لهذا ترك سقوطك وصمة عار ،
تلحق بكل رجل ممتاز ، وتثير حوله الشبهات .
إنى لأبكى من أجلك لأن هذه الخيانة التى ارتكبتها
هى لعمرى بمثابة سقوط آخر للإنسان .
إن جرمهم واضح فاقبضوا عليهم .
حتى يجيبوا عن تهمهم أمام القضاء .
وقاهم الله شر أعمالهم .

إكستر : أقبض عليك للخيانة العظمى يا رتشارد إيرل كامبردج ،
وأقبض عليك للخيانة العظمى يا سكروب لورد ماشام

وأقبض عليك للخيانة العظمى يا توماس جراى فارس نورثمبرلند.

سكروب : كشف الله بعدله عن أغراضنا .
إن أسفى على ما اقترفت من ذنب
لأكبر من حزنى على مصرعى .
فأسترحمك يا مولاى أن تصفح عن ذنبى .
وإن دفعت ثمنه بجسدى .

كامبردج : أما أنا فلم يكن ذهب فرنسا هو الذى أغرانى .
وإن كنت اعترفت أنه أحد الدوافع (١)
لكى أسرع فى تنفيذ ما اعتزمت .
ولكنى أحمد الله على هذا الإخفاق ،
الذى يسعدنى أن أحسه فى محنتى ،
ملتمساً من الله ومن سيدى أن يصفحا عنى .

جراى : لم يسبق لفرد مخلص من الرعية
أن يغتبط للكشف عن خيانة شديدة الخطر .
كغبطتى الآن لما يصيبنى .

---

(١) يرى بعض الشراح أن هذه المؤامرة أولى المحاولات لنصرة بيت يورك ، إذ كانت تهدف إلى تولية الايرل مارتش Mareh بعد قتل هنرى . فهى أول مظهر للنزاع الذى تطور فى عهد هنرى السادس إلى حرب الوردتين .

وقد منعت من ارتكاب جرم لعين .
فاصفح أيها الملك عن ذنبي ولا تعف عن جسدى .

الملك هنرى : الله يتولاكم برحمته وغفرانه . فانصتوا لما حكم به عليكم :
إنكم تآمرتم على شخصنا الملكى ،
وناصرتم عدواً أعلن العداء بيننا وبينه ،
وقبضتم من خزائنه عربوناً ذهبياً ، ثمناً لموتنا .
وبهذا أردتم أن تبيعوا ملككم لقاتليه .
وتبيعوا حاشيته ونبلاءه ليكونوا للعدو خدما ،
وتبيعوا رعيته للظلم والاحتقار .
وملكه كله للخراب والدمار .
فأما شخصنا فإننا لا نطلب له ثأراً .
ولكنا نحرص أشد الحرص على سلامة مملكتنا .
وقد سعيتم إلى تدميرها ، فلنسلمكم لحكم قانونها .
فانطلقوا — إذن — من هنا ، أيها الأشقياء التعسون إلى موتكم
والله سبحانه ، يمنحكم برحمته الصبر على احتمال مذاقه ،
ويشعركم الندم الصادق ،
على ما اقترفتم من الآثام المحزنة .
احملوهم من هنا

(يخرج كامبردج وسكروب وجراى فى حراسة الجند)

والآن أيها السادة ، إلى فرنسا ،
إن ما ننشده هناك مجد عظيم لنا ولكم .
ولسنا نشك أننا نخوض حرباً يصاحبنا فيها اليُمن والسعد ،
لأن الله سبحانه قد كشف بيُمنه وكرمه عن هذه الخيانة الخطيرة
التي كانت تعترض طريقنا ، لكي تعوق خطتنا في بدئها .
فالآن لسنا نشك في زوال كل عقبة في طريقنا .
فتقدموا يا أبناء الوطن الأعزاء ،
ولنضع زمام جيشنا في يد الله .
فلتتحرك الكتائب فوراً ، قاصدين البحر في مرح وبهجة ،
ولتتقدم حملة الأعلام .
لن يكون لإنجلترا ملك ، إلا وهو ملك لفرنسا

(أبواق ، يخرجون)

* * *

المنظر الثالث

لندن . أمام حانة

يدخل بستول والمضيفة ، ونيم وباردولف ، وغلام

المضيفة : أيها الزوج الحلو حلاوة الشهد ،
دعني أصاحبك إلى ستينز[١]

بستول : لا . إن قلبي — على جَلَدِه — مفعم بالحزن
فيا باردولف ، أظهر الطرب ،
ويا نيم أيقظ روحك المرحة ،
ويا غلام اصطنع الشجاعة ، إن فولستاف مات
ولهذا تملكني الحزن .

باردولف : ليتني أكون معه ، أينما يكن مستقره
في النار أو في الجنة !

المضيفة : لا شك أنه ليس في النار ، بل هو في حضن آرثر ،
فهو أجدر بحضن آرثر من أي رجل آخر[٢] . كانت

(١) Staines بلدة تبعد بنحو الثلاثين ميلا عن لندن في الطريق إلى سوثمبتن .

(٢) لا شك أن الست المضيفة تعني حضن إبراهيم حيث يكون الأبرار بحسب إنجيل لوقا (الإصحاح السادس عشر : الآيات ١٩ — ٣١) .

خاتمته خيراً من ذاك المصير [١] ، فقد مضى طاهراً كأنه طفل مسيحى رضيع ، لقد توفى بين الظهر والساعة الواحدة ، عندما انقلب المد إلى جذر ، فبعد أن رأيته يعبث بأغطية الفراش ، ويلعب بالأزهار ، ويبتسم وهو ينظر إلى أطراف أصابعه ، أدركت أنه ليس هناك إلا سبيل واحدة ، فقد كان أنفه مرهفاً كالقلم ، وقد أخذ يهتف بذكر المراعى الخضر [٢] . فقلت له : « كيف حالك الآن يا سيرجون ؟ ويحك يا رجل كن مسروراً مطمئناً » . فجعل يصرخ : « الله ، الله ، الله » : ثلاث مرات أو أربعاً . فقلت له لأطمئنه وأريح باله : إنه لا داعى لأن يفكر فى الله الآن ، فإنى كنت أرجو ألا تكون هناك حاجة لأن يضايق نفسه بمثل هذه الأفكار . فأمرنى أن أضع أغطية أخرى على قدمه ، فمددت يدى إلى الفراش ، وتحسست قدميه فألفيتهما باردتين كالحجارة ، ولمست ركبتيه وما يليهما وما يلى ذلك فألفيت جسمه كله بارداً كالحجارة .

(١) من الذهاب إلى النار .
(٢) إشارة إلى ما جاء فى المزمور الثالث والعشرين بالعهد القديم .

نيم : زعموا أنه كان يسب خمر الأندلس[١] .

المضيف : أجل لقد فعل ذلك .

باردولف : وكذلك سب النساء .

المضيفة : كلا لم يفعل ذلك .

الغلام : بل فعل ذلك وقال : إنهن شياطين تقمصتها أجسام بشرية .

المضيفة : إنه كان يبغض زهر القرنفل ولم يكن يحب لونه .

الغلام : لقد قال مرة إن الشيطان سيظفر به بسبب النساء .

المضيفة : أجل ، لقد كان له بالنساء بعض الصلات . ولكنه كان يشكو مرض المفاصل ، وكثيراً ما كان يذكر عاهر بابل[٢] .

الغلام : ألا تذكرين أنه رأى برغوثاً لاصقاً بأنف باردولف ، فقال إنه روح سوداء تحترق فى الجحيم .

باردولف : لقد ذهب الوقود الذى كان يلهب تلك النار ، وكان

---

(١) التى كان يحبها حباً شديداً فى حياته : ولا بد من تذكير القراء بأن شخصية فولستاف عولجت فى بضع مسرحيات أخرى لشكسبير . وظهر فى بعضها أيضاً بستول و باردولف ونيم والغلام .

(٢) إشارة إلى الزانية الوارد وصفها فى الإصحاح السابع عشر من رؤيا يوحنا اللاهوتى .

ذلك كل ما نلت فى خدمته من الثراء[1] .

نيم : ألا نمضى لسبيلنا ؟ إن الملك لابد قد غادر سوثمبتن

بستول : أجل هلما بنا ! ناولينى شفتيك ، أيتها الحبيبة .
حافظى على أمتعتى ومنقولاتى .
كونى يقظة شديدة الانتباه
وليكن شعارك الدفع فوراً . ولا نسيئة .
ولا تثقى بأحد ، فإن الإيمان كالهيثم ،
ومواثيق الناس كالكسرة الرقيقة ، يسهل كسرها ونقضها .
فيا بطتى العزيزة ، اجعلى الحرص رائدك .
والحذر الشديد نصيحك ومرشدك .
اذهبى الآن وامسحى بللورتيك .
ويا رفقائى فى السلاح لننطلق إلى فرنسا
ولنكن كالعلق الملتصق بالخيل ،
همنا أن نمتص ثم نمتص
ولا نتورع حتى عن امتصاص الدم .

الغلام : وهم يزعمون أن هذا طعام يضر الصحة .

بستول : المس فمها الناعم وسيروا بنا .

---

(١) كان باردولف يخدم ويتناول أجره خمراً وكان الإفراط فى الشرب سبب التهاب واحمرار أنفه .

باردولف : وداعاً أيتها المضيفة ! (يقبلها)

نيم : أنا لا أستطيع التقبيل ، وهذا هو مزاجي ، ولكن وداعاً .

بستول : تمسكي بفضائل المرأة الصالحة ، ولتعني بشئون المنزل .

المضيفة : وداعاً ، وفي رعاية الله .

* * *

المنظر الرابع

فرنسا

قصر ملك فرنسا

ينفخ في البوق ، يدخل ملك فرنسا ، وولي العهد ، ودوق بري .
ودوق بريتانيا ، والقائد الأعلى ، وآخرون

ملك فرنسا : هكذا يزحف علينا الإنجليز ، بكل ما لديهم من قوة
وجدير بنا أن نضاعف جهودنا .
حتى تكون حصوننا قادرة على ردهم
فلينطلق إذن دوق بري ، وبريتانيا ، وبرابنت وأورليان
وأنت أيضاً أيها الأمير ولي العهد : انطلقوا بسرعة .
لكي تزيدوا مدننا المحاربة قوة وتحصيناً .
وتزودوها برجال ذوي بأس ، وقلاع ذات منعة ،

لأن إنجلترا تزحف نحونا بسرعة تحاكي في عنفها اندفاع الماء
نحو مركز دوامة بعيدة الغور .
فجدير بنا أن نكون بعيدى النظر ،
بقدر ما يعلمنا الخوف من تكرار ما جرى أخيراً فى ميادينا [١]
على أيدى أولئك الإنجليز الذين احتقرناهم وازدريناهم .

ولى العهد : أى والدى ، البالغ منتهى الشجاعة !
إن من أوجب الواجبات أن نتدرع للقاء العدو .
فما ينبغى للدولة أن يصرفها السلم نفسه عن التسلح .
حتى ولو لم يكن هنالك احتمال حرب أو نزاع معروف .
فلابد للمعاقل والكتائب والعدة الحربية
أن تحصن وأن تحشد وأن تجمع .
كأنما الحرب وشيكة الوقوع .
لهذا أقول إن من الواجب أن ننطلق كلنا
لكى نعالج الجبهات الضعيفة العليلة من فرنسا .
ولنقم بعملنا هذا دون أن نظهر من الخوف أو الرهبة
أكثر مما لو سمعنا أن إنجلترا منهمكة

---

(١) إشارة إلى معركة كريسى Cressy عام ١٣٤٦ وبواتييه عام ١٣٥٦ ، والإشارة إليهما كثيرة فى هذا الكتاب .

في إقامة حفلات الرقص في عيد العنصرة ،
ذلك أن على عرشها يا مولاى ملكاً كسولاً .
وصولجانها تمسكه يد خرقاء وإرادة مزعزعة ،
لفتى ركبه الغرور والطيش والجهل والحماقة .
ولهذا لا يخشى جانبها

القائد : مهلاً أيها الأمير ولى العهد .
إنك لمخطئ أشد الخطأ في أمر هذا الملك ،
ولو أن الملك سأل سفراءنا الذين أرسلوا أخيراً
كيف تلقى رسالتهم بمظهر ملكي رائع ،
وكيف كان محاطاً بعدد كبير من النبلاء ذوى الرأى ،
وكيف كان متواضعاً وهو يعترض على أمر من الأمور ،
رهيباً حين يوطد العزم على شيء .
إذن لعلمت أن تلك الحماقات القديمة ،
لم تكن إلا كالمظهر الخارجي لبروتس الرومانى
الذى رأى أن يستر حزمه وعزمه بكساء من البلاهة[١]
كما يغطى البستانى بالقمامة تلك الجذور ،

---

(١) هو Lucius Junius Brutus الذى تولى منصب الحكم في بدء عهد الجمهورية بروما سنة ٥٠٩ ق . م وكان يتظاهر بالغباء والبلاهة خوفاً من عمه الجبار الملك تاركوين ، وبهذه الحيلة أمكنه المساهمة في القضاء على العهد الملكي ، وإقامة الجمهورية الرومانية .

التي لا تلبث أن تبكر بالنمو والازدهار العظيم .

ولي العهد : ليس الأمر كما تقول يا سيدى القائد العظيم .

ومع أن هذا هو رأينا ، فلن يغير هذا من مجرى الأمور .

لأن أسلم خطة للدفاع أن تزن العدو

بحيث تجعله أجل خطراً وأشد بأساً مما يبدو .

وبذلك يستوفى الدفاع جميع أركانه إلى أبعد حد ممكن .

ولو أن تقديرنا كان على مقياس ضئيل شحيح .

لكنا كالبخيل الذى يتلف حلته باقتصاد القليل من القماش .

ملك فرنسا : أنا على يقين أن الملك هنرى قوى .

فعليكم أيها الأمير أن تعدوا منتهى القوة للقائه .

إنه وقبيلته قد تدربوا على غزونا وقتالنا ، وطعموا من لحمنا ودمنا .

فهو ينحدر من تلك السلالة السفاحة .

التي طالما تعقبتنا فى مسالك أوطاننا .

اذكروا ذلك العار الذى لا ينسى .

يوم حلت بنا الواقعة فى معركة كريسى [١] .

ووقع جميع أمرائنا أسرى .

---

(١) Crécy

بيد ذى الاسم الأسود . إدوارد أمير ولز الأسود[١]
بينما وقف والده الجبار فوق الجبل
محلقاً فى الهواء ، تتوج هامته الشمس الذهبية .
وهو ينظر إلى بطولة ولده ، ويبتسم ضاحكاً
إذ يراه وقد زعزع جوانب الطبيعة ،
ومحا المعالم التى أقامها الله وآباؤنا الفرنسيون فى عشرين عاماً .
وما هذا سوى فرع من تلك الأرومة المظفرة
وجدير بنا أن نرهب بأسه الذى فطر عليه ،
والقضاء الذى يناصره .

(يدخل رسول)

الرسول : أقبل سفراء من لدن هنرى ملك إنجلترا .
وهم يلتمسون المثول بين يدى جلالتكم .

ملك فرنسا : سنمنحهم المثول لدينا الساعة . اذهبوا وأحضروهم .

(يخرج الرسول وبعض الأشراف)

ألا ترون أيها الأصدقاء أن هذا الطراد يجرى سريعاً .

ولى العهد : قف مواجهاً لهم ، تتوقف المطاردة .

---

(١) Edward the Black Prince سمى بذلك لأنه كان يرتدى درعاً أسود . ولا يمل شكسبير ذكر موقعة كريسى وهذا الأمير سواء فى هذا الفصل أو فى الفصل الأول ، وفيما يلى من الفصول .

إن الكلاب الخائفة يشتد نباحها . حين تتوهم أن من
تحسبه غريمها
قد أخذ يعدو بعيداً عنها أمامها
فما أجدرك يا مولاى الملك ، أن تختصر القول مع الإنجليز.
حتى يدركوا أى مملكة تتولى زعامتها .
إن حب النفس يا مولاى ليس بالإثم الكبير إذا قيس إلى
احتقار النفس .

(تعود الرسل ومعهم إكستر وحاشيته)

ملك فرنسا : هل أقبلتم من عند أخينا ملك إنجلترا ؟

إكستر : أجل من عنده : وهو يوجه لجلالتكم التحية الآتية :
يريد منكم باسم الله العلى القدير ،
أن تخلعوا عن أنفسكم ، وأن تذروا جانباً
تلك الأمجاد المستعارة ، التى آلت بفضل السماء ،
وبمقتضى قوانين الطبيعة والأمم ،
إليه وإلى ورثته : ألا وهى تاج فرنسا
وكل ما اتصل به من الألقاب البعيدة المدى ،
بحكم العرف السائد ، وعلى مضى الزمن .
ولكى تعلموا أنه لا يطالب بحق فاسد أو باطل ،
التقطه من جحور الديدان التى امحى أثرها على مدى الأيام

أو من تحت تراب الأجيال السحيقة الفانية .
يرسل إليكم شجرة النسب هذه ، وهى وثيقة عتيدة .
كل فرع منها ينطق بالحقيقة الناصعة .
ويريد منكم أن تطالعوا هذا النسب .
فإذا وجدتم أنه ينحدر انحداراً مباشراً .
من أعظم أسلافه وأجداده الملك إدوارد الثالث
طالبكم بأن تنزلوا عن التاج ،
وعن الملك الذى أخذتموه بغير حق
وتتخلوا عنه لصاحبه الشرعى .

ملك فرنسا : وإلا ، فماذا يكون ؟

إكستر : الحرب الشعواء ، ولئن أخفيتم التاج فى قلوبكم
لينبشن عنه هناك .
لهذا جاء زاحفاً ، كأنما يحمله إعصار فيه نار
تحف به الصواعق والزلازل ، كأنه الإله[1] جوبيتر
فإذا لم ينل بغيته طوعاً ، نالها كرهاً .
إنه يسألكم باسم المولى القدير أن تسلموا التاج
وأن ترحموا تلك النفوس البائسة .

---

(١) جوبيتر Jupiter وهو المشترى فى الأسطورة الرومانية فهو كبير الآلهة وفى الفلك فهو أكبر الأجرام السماوية .

التى تفتح لها هذه الحرب الجائعة فكين هائلين
وعلى رأسكم ستقع عبرات الأرامل ، وبكاء اليتامى ،
ودماء القتلى . وأنين الفتيات الثاكلات
وقد فقدن أزواجهن ، وآباءهن ، وأحباءهن .
وقد التهمتهم جميعاً هذه الحرب الضروس .
ذلك مطلب مولاى ، وهذا وعيده ، وتلك رسالتى بلغتها .
اللهم إلا أن يكون ولى العهد هنا .
فإن له عندى أيضاً تحية أبلغها .

ملك فرنسا : أما نحن فسننظر فى هذا الأمر بعد .
وستعلمون غداً بكل ما صح عليه عزمنا .
لتنقلوه إلى أخينا ملك إنجلترا .

ولى العهد : وأما ولى العهد ، فإنى أنوب عنه .
فما الذى أرسله إليك ملك إنجلترا ؟

إكستر : السخرية والامتهان ، وقلة الاكتراث والاحتقار .
وكل إهانة يستطيع المرسل الجبار توجيهها .
دون أن تكون غير لائقة بمقامه ، هذا جزاؤك عنده .
ويقول سيدى الملك : إذا لم يستجب سمو والدك لجميع
المطالب ، فيمحو بذلك مرارة السخرية التى وجهتها لجلالته.
فإنه سيتعقبك بشدة وحرارة ليقتص منك .

حتى يتردد فى كهوف فرنسا وغيرانها ، صوت مدافعه
الضخمة ، تؤنبك على جرمك ، وترد إليك سخريتك .
فيرن صداها فى جميع الأرجاء .

ولى العهد : أبلغه أنه إن رضى أبى أن يستجيب لتلك المطالب ،
ليكونن هذا مخالفاً لإرادتى .
فإنى لا أرغب فى شىء كرغبتى فى عداء ملك إنجلترا ،
ومن أجل ذلك أهديته كرات التنس .
هدية تلائم حداثة سنه ، وشدة غروره .

إكستر : من أجل ذلك سيجعل قصر اللوفر يرتج ويترنح ،
ولو كان سيد قصور أوربا العظيمة .
وكن واثقاً أنك ستجد فرقاً واضحاً ،
كما شهدناه نحن رعيته ، ودهشنا له ،
ما بين عهد شبابه وقلة نضجه
وبين ما يتحلى به اليوم من الصفات .
إنه الآن يزن الزمان بدقة إلى آخر حبة .
وستطالعون أثر ذلك فى خسائركم الجسيمة .
إذا أقام فى فرنسا .

ملك فرنسا : غداً تعلمون ما استقر عليه رأينا كاملا . (طبول)

إكستر : عجل برحيلنا لئلا يبادر ملكنا ، فيحضر بنفسه ،

ليسأل عن سبب تأخرنا ،
فقد تم له النزول فى هذه البلاد .

ملك فرنسا : ستشيعون بعد قليل بشروط ملائمة .
وما ليلة واحدة سوى فترة تنفس ، وبرهة وجيزة .
للرد على أمور لها كل هذا الخطر .

(يخرجون)

* * *

الفصل الثالث

يدخل المعقب

هكذا تطير قصتنا السريعة بجناح من الخيال
وتتحرك بسرعة تحاكي سرعة الخاطر .
افترضوا أنكم رأيتم الملك في تمام أهبته ،
على رصيف سوثمبتن . يركب السفينة الملكية .
وأسطوله الفخم تخفق أعلامه الحريرية في ضياء الشمس .
وحرّكوا خيالكم ، حتى تروا فيه صورة الملاحين .
وهم يتسلقون حبال القنب .
أنصتوا إلى صفارة الربان ، وهي تنطلق ؛
فيسود النظام ، وتخفت الأصوات المضطربة .
انظروا إلى الشرع المشدودة .
تدفعها رياح زاحفة لا تراها العيون .
فتجر السفن الضخمة وسط البحر اللجى ؛
فتقتحم الأمواج العالية .
حسبكم أن تتصوروا أنفسكم وقوفاً على الساحل .
تبصرون فوق الموج المضطرب مدينة راقصة .

فهكذا يبدو الأسطول الملكى الجليل .
وهو يجرى فى طريقه إلى هارفلير[1] ولا يحيد عنه .
اتبعوه إذن واقتفوا بعقولكم أثر هذه السفن .
اتركوا خلفكم إنجلترا يسودها هدوء كهدوء نصف الليل
يحميها الأجداد والأطفال والعجائز .
ممن أشرفوا على الفناء أو لم يبلغوا بعد أشدهم .
وإلا فأى شاب من شبابنا ، ولو لم تنبت فى ذقنه سوى
شعرة واحدة ، يتخلف ، ولا يتبع تلك الصفوة المختارة من
الفرسان إلى فرنسا ؟
حركوا خيالكم بشدة ، حتى تبصروا حصارا ،
وقد نصبت المدافع على مركباتها ،
وسددت أفواهها الهائلة نحو هارفلير المسورة . .
ثم هبوا أن بعض السفراء عاد من عند الفرنسيين ،
وأخذ يحدث هنرى ، أن الملك يعرض عليه ،
الزواج من ابنته كاترين ، ومعها ، على سبيل المهر ،
عدد من الدوقيات الصغيرة ، القليلة الخيرات .

---

(١) Harfleur تقع إلى الشرق من ميناء هافر بنحو ١٠ كيلومترات . كانت فى العصور الوسطى أهم الموانئ فى شمال غربى فرنسا . وكانت هافر فى ذلك الوقت قرية صغيرة تشتغل بالصيد .

فإذا الملك يرفض هذا العرض ، وإذا المدفعي السريع
يبادر فيمسك مشعاله ، ويطلق مدفعه الجهنمي ،
وإذا كل شيء ينهار أمامهم . وعلى ذلك أرجوكم

(صوت أبواق وقصف مدافع)

أن تؤازروا تمثيلنا بقوة خيالكم[١] .

* * *

المنظر الأول

فرنسا — لدى أسوار هارفلير

نفخ في البوق : يدخل الملك هنري وإكستر وبدفورد وجلوستر
وجنود يحملون سلالم لتسلق الأسوار

الملك هنري : مرة أخرى ، لنقتحم الثغرة ، أيها الأصدقاء الأعزاء ،
مرة أخرى أو نسدها بأجساد قتلانا من الإنجليز .
لا شيء أليق بالإنسان في وقت السلم والدعة ،
من أن يلتزم الهدوء والتواضع والمهادنة .
ولكن إذا ما دوى نفير الحروب في آذاننا ،

---

(١) لعل أهم وظيفة لهذا المعقب أن يشير إلى الحوادث التي تجرى خارج المسرح ، حتى يصلها بما يجرى على المسرح أمام النظارة في الفصل السابق واللاحق .

فلنحذ حذو النمر ونحاكه فيما يصنع
ولتكن عضلاتنا صلاباً ، وليغل الدم فى عروقنا .
اخفوا مظهركم السمح بستار من الغضب العابس .
واجعلوا للعين منظراً يبعث الرعب .
ودعوها تحدق من نافذة الرأس كالمدفع النحاس .
ولتكن الحواجب فوقها شديدة التقطيب ، تثير الخوف .
كأنها صخرة منحوتة مشرفة على قاعدتها
وقد غسلتها ونحتتها مياه المحيط العنيفة المدمرة .
عضُّوا على النواجذ ، واجعلوا المناخر واسعة جياشة
احبسوا نَفَسْ بشدة ، وابذلوا الجهد إلى أقصى غاية !
هلموا هلموا يا أنبل الإنجليز !
الذين تنحدر دماؤهم من آباء تمرسوا بالحروب .
آباء كل واحد منهم كالإسكندر .
وقد طالما قاتلوا فى هذه البلاد من الصباح إلى المساء ،
ولم يغمدوا سيوفهم إلا لانعدام الخصوم .
لا تسيئوا إلى شرف أمهاتكم ،
وأثبتوا أن الذين تدعونهم آباءكم هم الذين أنجبوكم .
كونوا اليوم مثالاً يحتذيه من كان دونكم حسباً ،
وعلموهم كيف يكون القتال .

وأنتم أيها الزراع [١] الكرام ،
الذين نمت أجسامهم فى إنجلترا .
أرونا هاهنا الخصال الكريمة التى غرست فيكم .
دعونا نقسم أنكم جديرون بتلك التنشئة .
وليس يخامرنى شك فى ذلك ، فليس بينكم فرد واحد ، بلغ من الحطة والضعة أن عينيه لا تلمعان ببريق الهمة والنجدة .

إنى أراكم وقوفاً ككلاب الصيد يحبسها الرباط .
وهى تتلهف للعدو والانقضاض .
إن الصيد أمامكم ، فأطلقوا لروحكم العنان .
وصيحوا فى هجومكم : الله ينصر هنرى وإنجلترا والقديس جرجس .

(يخرجون : نفخ فى البوق وإطلاق بنادق)

---

(١) بعد أن خاطب النبلاء ، يتجه إلى مخاطبة صغار الملاك .

المنظر الثانى

نفس المكان

يدخل نيم وباردولف ، وبستول والغلام

باردولف : إلى الأمام ، للأمام ، للأمام ، إلى الثغرة ، إلى الثغرة .
أرجوك أيها الأونباشى . تمهل . فالضربات حامية جداً .
وفيما يتعلق بى ليس لدى عدد من الأرواح ، والمزاج هنا
حار ملتهب ، وهذا هو القول الواضح الصريح .

بستول : أجل هذا قول صحيح صريح . وللناس فيما يعشقون مذاهب .
الضربات تغدو وتروح وعباد الله تسقط وتموت
والسيف ثم الورقة
فى ميدان القتال
يكتسبان المجد الأبدى

الغلام : وددتُ لو أنى فى حانة فى لندن ! إذن لنزلت عن
مجدى كله من أجل قدح من الجعة ، والسلامة .

بستول : أما أنا :
لو أن لى رغبات تتحكم فى نفسى .
فإن غرضى الذى لا أبغى سواه

هو أن أسرع إلى هناك

الغلام : بنفس السرعة

وإن لم يكن بنفس الذمة والشرف

كما يغرد الطائر فوق الأغصان[١]

(يدخل فلولن)

فلولن اصعدوا إلى الثغرة أيها الكلاب ! إلى الأمام أيها الأراذل !

بستول : ترفق أيها الدوق العظيم برجال من طين لازب !

هدئ من غضبك ، خفف من غضبك الثائر .

سكن من غضبك ، أيها الدوق العظيم !

أيها الديك المليح ، كفكف غربك ،

واصطنع الرفق ، أيها العذب الروح !

نيم : هذه أمزجة طيبة ، وهناك أمزجة رديئة .

(يخرج الجميع . ما عدا الغلام)

الغلام : لقد راقبت برغم حداثة سني ، هؤلاء الثلاثة ، الكثيرى الجعجعة ، هم يحسبونني غلاماً بالنسبة إليهم . وربما جاز أن يكونوا خدماً لي . ولكني لا أعدهم رجالاً بالنسبة إلى . فثلاثة كهؤلاء المازحين العابثين لا يساوون رجلاً واحداً .

---

(١) هذه الأسطر القصيرة التي يرددها بستول والغلام هي في الغالب أجزاء من أناشيد قديمة .

فأما باردولف فجبان يتكلف الشجاعة . لهذا تراه يتبجح ولكنه لا يقاتل ، أما بستول فلسانه ماض فتاك ، وسيفه هادئ مسالم . ولهذا ترى ألفاظه تتكسر ، وأسلحته سليمة لم تمس . أما نيم فقد سمع أن خير الناس من قل كلامه . لذلك يجد من الحقارة أن يقرأ الصلوات ، لئلا يظن به الجبن ، ولئن كانت ألفاظه قليلة رديئة ، فإن أعماله الطيبة أقل . ولم يسبق له أن حطم رأس إنسان ، غير نفسه ، وذلك عندما اصطدم بعمود وهو سكران . ومن دأبهم جميعاً أن يسرقوا ما تصل إليه أيديهم ، ثم يزعموا أن السرقة بيع وشراء . وقد سرق باردولف صندوقاً مما يحفظ فيه عود الطرب . وحمله مسافة اثنى عشر فرسخا ، وباعه نظير بنس ونصف بنس ، وقد صار باردولف ونيم أخوين فى السرقة ، وأقسما اليمين على هذا الإخاء . وفى كاليه سرقا جاروفا للنار ، فأدركت من فعلتهما هذه أنهما لا يتورعان عن أى عمل دنىء . أرادا منى أن أكون على اتصال وخبرة بجيوب الناس ، كأنى قفاز لهم أو منديل . ومن أشد ما يزرى بالرجلة أن أستخرج من جيب الغير شيئاً أضعه فى جيبى . فيمتلىء الجيب إثماً وشروراً . لابد لى أن أهجرهم وألتمس عملا خيراً من العمل عندهم . إن شرورهم تبعث الغثيان فى معدتى

الضعيفة . ولابد أن أتخلص منها . (يخرج)

يرجع فلولن ، يتبعه جور .

جور : أيها اليوزباشي فلولن ، يجب أن تحضر فوراً إلى سراديب الألغام ، فإن دوق جلوستر يريد التحدث إليك .

فلولن : إلى سراديب الألغام ؟ قل للدوق إن الحضور إلى السراديب ليس بالأمر المستحسن ، ويجب أن تعلم أن السراديب ليست مطابقة لأصول الحرب أو التقاليد الحربية المعترف بها ، لأن انحناءاتها غير كافية ، ثم انظر وتأمل — وعليك أن تبلغ هذا إلى الدوق — انظر إن العدو قد حفر سراديب ألغام مضادة[١] . على عمق أربع ياردات من سراديبنا . فوحق المسيح ، سيعم الدمار إذا لم تجد قيادة أحسن من هذه القيادة .

جور : إن دوق جلوستر الذى كلف إدارة الحصار ، يقوده فى كل شيء رجل إيرلندى ، ولا شك أنه رجل مقدام .

فلولن : إنه اليوزباشي ماكوريس ، أليس كذلك ؟

---

(١) السرداب Mine عبارة عن حفرة أو نفق يحفر تحت أسوار المدينة المحاصرة ، ثم توضع فيه المفرقعات لتدمير الأسوار . وقد يفطن العدو فيعمل سرداباً مضاداً ، تحت السرداب الأول . وفى عصر شكسبير كان يجرى جدال بين أنصار القديم والحديث ، على النحو الموضح فى هذا المنظر الذى يشترك فيه ضابط إنجليزى آخر من ويلز وثالث إسكتلندى ورابع إيرلندى ، ولذلك يسمى أحياناً المنظر « الدولى » . وكل منهم يتكلم بلهجة .

جور : أظنه هو .

فلولن : وحق المسيح إنه لحمار ، ليس له فى العالم مثيل ، وأستطيع أن أؤكد ذلك فى وجهه ، ولا يعرف من إدارة الحرب طبقاً للأساليب السليمة ، والنظم الرومانية ، أكثر مما يعرفه جرو بن كلب .

(يدخل اليوزباشي ماكموريس واليوزباشي جامى) .

جور : ها هوذا قد أقبل ومعه قائد الإسكتلنديين اليوزباشى جامى .

فلولن : إن اليوزباشى جامى سيد باسل ، هذا مؤكد ، وحاضر الذهن ، واسع العلم بفنون الحرب القديمة بحسب ما أعلم من قيادته العسكرية . إنه وحق المسيح يستطيع أن يدلى بحججه ويدافع عن آرائه كأى رجل عسكرى فى العالم ، فى فضائل الحروب المأثورة عن الرومان .

جامى : أقرئك السلام يا يوزباشى فلولن .

فلولن : سعد يومك يا يوزباشى جامى الكريم .

جور : ماذا جرى يا يوزباشى ماكموريس ، هل تركت السراديب ؟ هل عدل الحفارون عن الحفر ؟

ماكوريس : وحق المسيح إن العمل قد تم ، ومع ذلك أوقفوه ، ونفخ بوق التراجع ، أقسم بيمينى وبروح والدى ، أن العمل

قد تم ، ثم تخلوا عنه . كان بوسعى أن أدمر المدينة ، وحق المسيح ، فى ساعة . لقد تم العمل . تم العمل . وحق يدى هذه . تم العمل كله !

فلولن : يا يوزباشى ماكموريس ، ألتمس منك الآن ، إن أذنت لى ، أن أناقشك فى أمور تمس أو تعنى بعض نظم الحرب ، أى الحروب الرومانية ، على سبيل المناقشة ، والأخذ والرد ، بطريقة ودية ، وذلك من أجل اطمئنان خاطرى من جهة ، أو إقناع فكرى من جهة أخرى ، فيما له صلة بإدارة العمليات والنظم العسكرية : هذه هى المسألة .

جامى : ستكون مناقشة طيبة وأيم الحق ، فكلاكما ضابط بارع . وسأدلى برأيى أيضاً إذا أذنتما لى . كلما سنحت الفرصة . . أجل ذلك ما سأفعل وحق العذراء .

ماكوريس : لينقذنى السيد المسيح ! إن هذا ليس وقت الجدال . إن اليوم قد ارتفعت حرارته ، وكذا الجو والقتال والملك والأدواق . فليس هذا وقت المناقشة . إن المدينة محاصرة ، والنفير يدعونا لاقتحام الثغرة . ونحن نتكلم ، بحق المسيح ، ولا نفعل شيئاً . هذا عار علينا جميعاً . وليخلصنى الرب من العار أن نقف جامدين ، أجل وأقسم بيمينى أن هذا

عار . وهناك أعناق لابد من قطعها ، وأعمال لابد من إنجازها .

ولا تعمل لهذا كله شيئاً . فلينقذني المسيح .

جامى : وحق القداس ، لأقومن بعمل عظيم ، قبل أن أسلم هاتين العينين للنعاس ، أو أُوارَى فى بطن الثرى . أجل أو ألقى الموت ، ألقاه بكل ما ينبغى من الثبات والإقدام . هذا لعمرى ما سأفعله ، سواء أطلت الكلام أم أوجزت . وحق العذراء إنى أود أن أنصت لما يجرى من حوار بينكما أنتما الاثنين .

فلولن : انظر يا يوزباشى ماكوريس ، وفى وسعك أن تصحح خطئى ، ليس بيننا هنا الكثير من قومك[١] . . .

ماكوريس : من قومى ؟ وما شأن قومى وهم أراذل ، أدعياء ، لئام : سفلة — ما شأن قومى الآن ؟ منذا الذى يريد أن ينال من قومى ؟

فلولن : مهلاً يا يوزباشى ماكوريس . لئن حملت كلامى على غير ما قصدت ليحقن لى أن أرى أنك لا تعاملنى بذلك اللطف الذى يفرض عليك القانون أن تعاملنى به .

---

(١) أى ليس بين المقاتلين عدد كبير من الإيرلنديين . وقد أحس ماكوريس أن هذه العبارة بدء هجوم على قومه . فقاطع فلولن ورد عليه بعنف .

فأنا نظيرك وندك ، سواء فى المعرفة بشئون الحرب ، أم فى الحسب والنسب ، أم غير ذلك من الأمور .

ماكوريس : لست أعترف أنك لى ند ، لا وحق المسيح .
وما أجدرنى الآن أن أجز ناصيتك

جور : مهلاً أيها السيدان مهلاً . كلاكما مخطئ فى حق صاحبه .

جامى : أجل إن هذا خطأ جسيم

(ينفخ فى البوق للمفاوضة)

جور : إن المدينة ترغب فى المفاوضة .

فلولن : يا يوزباشى ماكوريس ، متى سنحت لنا فرصة أخرى ، فإنى سأجرؤ وأخبرك أننى خبير بنظم الحرب . وهذا آخر كلامى .

(يخرجون)

* * *



المنظر الثالث

نفس المكان

(بعض رجال المدينة على السور فوق الباب — يدخل الملك هنرى وحاشيته ويقف أمام الباب)

الملك هنرى : علام استقر رأى حاكم المدينة ؟
إن هذه آخر مفاوضة نسمح بها ،
فأولى لكم أن تسلموا أنفسكم إلى كريم رحمتنا .
وإن شئتم أن تفخروا بالتعرض للهلاك والدمار ،
فتحدّونا ليحل بكم أسوأ نقمتنا .
وأنا الجندى — ويقينى أن هذا خير لقب يليق بى ،
أنذركم إذا ما انطلقت مدافعى كرة أخرى !
أنى لن أدع هارفلير ، التى سقط نصفها ،
حتى تُدفن عن آخرها وسط رمادها
وستُغلق جميع أبواب الرحمة .
ويأتى الجندى المدرب فى خشونته وقسوته .
فيصول ويجول بضمير يتسع لارتكاب كل شىء
فلا يلبث أن يحصد عذاراكم الناضرة ، وأطفالكم الزاهرة

حصد المناجل للكلأ
وما الذى يعنينى إذا كانت هذه الحرب الكافرة[١]
تحف بها النيران ، كأنها زعيم الأبالسة
بوجهه الكالح المتجهم ، فينزل الويل والثبور
ويشيع الخراب والدمار ؟
ما الذى يعنينى وأنتم أنفسكم السبب ،
إذا سقطت عذاراكم الطاهرات
فريسة للغاصبين الملتهبين ؟
أى لجام يستطيع كبح الرذيلة الطليقة من كل قيد ،
إذا ما أخذت تندفع من فوق جبل اندفاعاً وحشيا ؟
لئن حاولنا أن نصدر أوامرنا للجنود ،
وهم فى حومة هياجهم من أجل غنيمتهم ،
لنكونن كمن يرسل مذكرات إلى حوت البحر ،
يدعوه فيها أن يتفضل بالحضور إلى الشاطئ .
لهذا أدعوكم يا رجال هارفلير ،
أن تشفقوا على مدينتكم وعلى قومكم ،
وجنودى لم تزل بعد طوع أمرى .

---

(١) اصطلاح للحرب تثيرها الرعية على مليكها الشرعى . وهذه هى نظرة هنرى إلى مقاومة الفرنسيين له وهم فى نظره رعيته .

ورياح الرحمة الباردة المعتدلة لم تزل لها القدرة
على اكتساح سحب القتل والنهب والرذيلة .
وما تحمل من أقذار وسموم .
وإلا فلن تمضى لحظات حتى تروا كل جندى ،
أعمته شهوة الدم ، يمد يده الفتاكة ،
فيجتذب بناتكم من شعرهن ، وقد ارتفع عويلهن .
ويأخذ آباءكم بلحاهم الفضية ،
فيحطم رءوسهم الموقرة على الأسوار .
ويحمل أطفالكم عراة على رءوس الحراب
بينما الأمهات ، وقد جن جنونهن ، يصرخن ويعولن
عويلا مختلطاً مضطرباً يشق السحب .
كما فعلت نساء اليهود يوم أغار رجال هيرودس السفاحون.
ما قولكم إذن ؟ أتسلمون فتتقون هذا ؟
أو تمعنون فى جريمتكم ، فتلقون الدمار؟

(يدخل حاكم المدينة وحاشيته)

الحاكم : اليوم ينتهى أمد انتظارنا
فولى العهد الذى انتظرنا منه العون
أرسل يبلغنا أن قواته لم تتأهب بعد .
لترفع عن بلدتنا هذا الحصار الشديد .

لهذا جئناك أيها الملك العظيم ، نسلم لرحمتك وحنانك
حياتنا ومدينتنا
فادخل أبوابنا ، وتصرف فينا وفى شئوننا .
فقد أصبحنا الآن عاجزين عن الدفاع .

الملك هنرى : افتحوا الأبواب ، وتعال أيها العم إكستر !
تقدم وادخل هارفلير وأقم فيها !
وحصّنها أشد تحصين لمقاومة الفرنسيين
اصطنع الرحمة فيهم جميعاً .
أما نحن أيها العم ، فسنرتد إلى كاليه
فقد أقبل الشتاء ، وأخذ المرض يصيب جنودنا ،
وسنقضى الليلة فى هارفلير ضيوفاً عليك .
وغداً نكون قد تأهبنا للرحيل .

(طبول : يدخل الملك وحاشيته المدينة)

* * *

المنظر الرابع

روان . حجرة فى القصر

تدخل الأميرة كاترين وأليس وهى سيدة عجوز [١]

كاترين : أليس . إنك عشت فى إنجلترا . وتحسنين التكلم بالإنجليزية .

أليس : قليلاً يا مولاتى .

كاترين : أرجوك أن تعلمينى ، فلابد أن أتعلم الكلام بها . ما معنى اليد بالإنجليزية :

أليس : اليد ؟ إنها تدعى DE HAND ذى هند [٢] .

كاترين : ذى هند . والأصابع ؟

أليس : الأصابع ؟ رباه لقد نسيت الأصابع ، ولكنى سأجتهد لأتذكرها : الأصابع !
أظن أنها تدعى ذى فنجرز DE FINGERS . نعم ذى فنجرز .

---

(١) فى هذا المنظر الأميرة الفرنسية تتلقى درساً فى الإنجليزية من وصيفتها الفرنسية . يدور الحوار الأصلى فيه بالفرنسية (وفرنسية شكسبير متوسطة) وستجىء إشارات إلى ألفاظ إنجليزية لا بد من ذكرها كما هى فى الترجمة .

(٢) الصحيح THE HAND ذى هند . ولكن الفرنسية خالية من حرف الذال ولذلك تستعمل أليس حرف الدال .

كاترين : اليد ذى هند ، الأصابع ذى فنجرز . . . أظن أنى تلميذة مجتهدة ، فقد تعلمت كلمتين إنجليزيتين بسرعة . وبماذا تسمون الأظافر .

اليس : الأظافر نسميها ذى نيلز DE NAILS .

كاترين : ذى نيلز : اسمعى وقولى لى هل أحسن النطق بالألفاظ : ذى هند ، ذى فنجرز ، ذى نيلز .

أليس : أحسنت النطق يا سيدتى : إنه نطق إنجليزى سليم .

كاترين : اذكرى لى معنى الذراع بالإنجليزية .

أليس : DE ARM ذى أرم يا سيدتى .

كاترين : والمرفق ؟

أليس : DE ELBOW ذى إلبو

كاترين : ذى إلبو . والآن سأكرر جميع الكلمات التى تعلمتها منذ الساعة .

أليس : يخيل إلىّ أن هذا سيكون صعباً جدًّا .

كاترين : عفواً أليس : أنصتى إلىّ : دى هند ، دى نيلز ، دى أرم ، دى بلبو

أليس : دى إلبو يا سيدتى

كاترين : يا رباه . إنى نسيت دى إلبو ، وبماذا تسمين العنق ؟

أليس : دى نك DE NICK

كاترين : ذى نك ، والذقن

أليس : دى تشن DE CHIN

كاترين : دى سن . العنق دى نك والذقن دى سن

أليس : نعم واسمحى لى يا مولاتى ، إنك تنطقين بالكلمات بنفس الدقة التى ينطقها بها سكان إنجلترا .

كاترين : لست أشك فى أنى سأتعلم اللغة بعون الله وفى وقت قصير .

أليس : أما نسيت الآن كل ما علمتك إياه .

كاترين : كلا وسأكرره لك من فورى : دى هند ، دى فنجرز ، دى ميلز

أليس : دى نيلز يا مولاتى .

كاترين : دى نيلز ، دى أرم ، دى إلبو[1] .

أليس : عفواً يا سيدتى : دى إلبو[2] .

كاترين : هكذا نطقت : دى إلبو ، دى نك ، دى سن . وكيف تسمون القدم والفستان .

أليس : لـ فوت Le foot و لـ كوت Le count .

كاترين : لـ فوت و لـ كوت ؟ رحمتك يا رب ! إنها كلمات قبيحة المسمع ، فاسدة ، رديئة ، وقحة ، ليس من اللائق أن تستخدمها السيدات الشريفات . ولا أنطق بهذه الألفاظ

---

(١) de ilbow (٢) d'elbow

أمام سادة فرنسا ، بل ولا أمام أى إنسان ولو أعطيت ملك العالم كله .

يا للعجب ا فوت و ا كوت ، ومع ذلك فإنى مرددة درسى كله مرة أخرى : دى هند ، دى فنجرز ، دى أرم ، دى إلبو ، دى نك . دى سن ، ا فوت ، ا كوت .

أليس : أحسنت كل الإحسان يا مولاتى

كاترين : حسبنا هذا لهذه المرة . ولنذهب الآن للغداء .

(تخرجان)

* * *

المنظر الخامس

نفس المكان

يدخل ملك فرنسا ، وولى العهد ، ودوق بريتانيا ، والقائد الأعلى للجيوش وآخرون .

ملك فرنسا : من المؤكد أنه تجاوز نهر السوم[١]

القائد : وإذا لم نستطع محاربته هناك أيضاً يا مولاى ، فلا تدعنا نعيش فى فرنسا ، ولنغادرها جميعاً ونسلم حقولنا وكرومنا لشعب من الهمج .

---

(١) أى الملك تجاوز نهر السوم فى طريقه إلى كاليه .

ولى العهد : الله أكبر ! أيتاح لهؤلاء الأدعياء القلائل ،
الذين تولدوا من شهوات أجدادنا الدنسة ،
كأنهم فروع منا طعمت على جذوع وحشية فظة !
أن يرتفعوا فجأة إلى عنان السماء ،
ويطلوا بازدراء على الذين غرسوهم[١] .

دوق بريتانيا : إنهم نورمنديون ، لكنهم ليسوا بنسل شرعى . بل نورمنديون أدعياء
فتعاليت اللهم ! لئن مضوا فى زحفهم ، دون أن يحاربوا ،
فلأبادر ببيع دوقيتى ، وأشترى بثمنها حقلاً رطباً قذراً
فى تلك الجزيرة البريطانية ، الكثيرة الخلجان .

القائد : يا سبحان الله رب الجيوش ! أنى لهم هذه الهمة ؟أليس
جوهم رطباً ثقيلا ، يغشاه الضباب ،
تطل عليه الشمس شاحبة ، كأنها فى حال يأس .
فتقتل فاكهتهم بعبوسها وتقطيبها[٢] ؟
أيمكن للماء المغلى ، ومنقوع الشجر

---

(١) فتح النورمنديون إنجلترا سنة ١١٦٦ واستقروا فيها . فتكونت الأرستقراطية الإنجليزية من زواج هؤلاء النورمنديين بنساء الإنجليز . وكذلك حدث الاختلاط أيضاً مع بعض طبقات الشعب . وهذا هو المعنى الذى فخمه ولى العهد وولد منه معانى مختلفة .

(٢) الإشارة هنا إلى الفواكه التى تتطلب الصحو الدفء مثل الكروم والخوخ . وإنجلترا فواكهها التفاح والكثرى .

أن يكونا علاجاً ناجعاً ،
لخيلهم المجهدة ،
وأن يبعثا الحرارة والجرأة فى دمائهم الباردة ؟
وهل يجوز لدمنا ، الممتلئ حيوية أن يبدو بارداً كالثلج ،
برغم حرارة النبيذ الذى نتعاطاه ؟
فبحق شرف بلادنا ، لا تدعونا معلقين كخيوط الثلج ،
نتدلى من سقوف منازلنا ، بينما نرى شعباً أشد منا برودة ،
تنهمر منه على حقولنا الغنية قطرات من الشباب الباسل الجرىء .
لا ، إن من حقنا أن نسميها فقيرة
إذا نشأت لنا سادة ضعاف النفوس .

ولى العهد : وحق الإيمان والشرف ، إن سيداتنا ليسخرن منا
ويقلن فى صراحة ، إن همتنا أصابها الانحلال .
ويودهن أن يهبن أجسامهن لشباب الإنجليز ،
لكى يزودن فرنسا من جديد بالمحاربين الأدعياء .

دوق بريتانيا : ويطلبن إلينا أن نكون أساتذة فى معاهد الرقص الإنجليزية ،
حيث نقوم بتعليم الرقصات من مختلف الأنواع : العالية والسريعة .
ويقلن إن براعتنا ليست إلا فى أعقابنا

وإن لنا فى الحرب القدح المعلى .

ملك فرنسا : أين مونجوى ، كبير المنادين . لينطلق فوراً من هنا .
ليحيى الإنجليز بتحدينا لهم تحدياً شديداً
انهضوا أيها الأمراء وسارعوا إلى الميدان .
ولتكن روح الشرف لديكم أمضى من صوارمكم .
هلم يا شارل ديلا بريت ، قائد جيوش فرنسا الأكبر ،
وأنتم يا دوقات أورليان وبوربون وبرى ،
وألنسون وبرابنت وبار وبرجندى ،
ويا جاك شانليون ورامبورس وفودمونت ،
وبومونت وجرانيرى وروسى وفولكنبردج ،
وفواكس وليسترّاك وبوسيكو وشارولوا ،
أيها الأدواق الكبار ، والأمراء العظام ،
والبارونات واللوردات والفرسان
تخلصوا من عاركم الكبير ، حرصاً على مناصبكم الكبيرة .
قفوا زحف هنرى الإنجليزى الذى يكتسح بلادنا ،
تخفق أعلامه المخضبة بدماء المدافعين عن هارفلير .
انقضوا على جيشه ، كما ينقض الثلج
الذائب على الأودية المنخفضة .
التى تقذف نحوها جبال الألب سيولها فتغمرها .

اهجموا عليه ، فإن لديكم من المحاربين الكفاية .
ثم سوقوه إلينا فى روان
أسيراً فى مركبة غنمتموها .

القائد : هذا هو الجدير بالعظماء ، وتؤسفنى قلة عدد جنوده .
وأن محاربيه يعانون المرض والجوع فى سيرهم الطويل .
وإنى لواثق من أنه لن يلبث أن يرى جيشنا ،
حتى يهبط قلبه إلى بؤرة الهلع
وسيطلب إلينا إيثاراً للسلامة أن نقبل منه الفدية .

ملك فرنسا : لهذا أيها القائد بادر بإرسال مونجوى .
وقل له يبلغ ملك الإنجليز أننا أرسلناه
لكى نعرف مقدار الفدية التى يريد أن يقدمها
أما أنت أيها الأمير ولى العهد فستبقى معنا فى روان .

ولى العهد : ألتمس من جلالتكم يا مولاى ألا يكون هذا نصيبى .

ملك فرنسا : صبراً ، إنك ستظل فى صحبتنا
والآن تقدموا أيها القائد ، والقواد جميعاً
وأبلغونا بسرعة نبأ سقوط إنجلترا .

(يخرجون)

* * *

المنظر السادس

معسكر الإنجليز فى بيكاردى[1]

يدخل اليوزباشيان الإنجليزى والويلزى جور وفلولن .

جور : ماذا لديك يا يوزباشى فلولن ، هل جئت الآن من الجسر ؟

فلولن : أؤكد لك أن قتالاً عظيما جدًّا يدور لدى الجسر .

جور : وهل الدوق أكستر بخير وعافية .

فلولن : الدوق أكستر يعادل أجا ممنون مجداً وفخامة ، وهو رجل أحبه وأجله بروحى وقلبى وواجبى وحياتى ورزقى وكل ما بى من قوة . فالحمد والمجد لله على أنه لم يمس بسوء ، بل يمسك الجسر بنظام صارم ، وعلى الجسر هناك ملازم حامل العلم ، وإنى أعتقد فى أعماق نفسى أنه لا يقل بسالة عن مارك أنطونيو ، على أنه شخص ليس لديه أى قدر فى العالم . ولكنى رأيته يقاتل قتالا عظيما .

---

(١) Picardie مقاطعة فى شمال غرب فرنسا ، شمال نهر السوم ، والجسر المشار إليه فى الكلام التالى هو جسر على نهر ترانواز Ternoise ، وقد استولى عليه الإنجليز قبل معركة آجنكوز مباشرة .

جور : وما اسمه

فلولن : إنهم يدعونه حامل العلم بستول

جور : لست أعرفه .

(يدخل بستول)

فلولن : هاك الرجل .

بستول : أيها اليوزباشي ، رجوتك أن تسدى إلىّ معروفاً :
إن دوق أكستر يحبك كثيراً .

فلولن : أجل والحمد لله . وإنى لجدير ببعض حبه .

بستول : إن باردولف جندى ثابت العزم
قوى القلب ، شديد الجرأة
ولكن القضاء الجائر ،
ودورة عجلة الحظ المتقلب ،
والحظ إله أعمى ، وعجلته ترتكز على صخرة مزعزعة ،
دائمة التدحرج .

فلولن : مهلاً يا حامل العلم بستول ، إنهم يصورون الحظ أعمى ، ويجعلون على عينيه رباطاً لكى يفهموك أن الحظ أعمى . وهو يرسم أيضاً ومعه عجلة ، لكى يفهموك المغزى المقصود بذلك ، وهو أن الحظ متقلب يدور دائماً ، ويتغير ويتحول . وقدمه مثبتة على صخرة فى شكل الكرة ،

ولا تزال تمور وتدور ، ولا مراء فى أن الشاعر قد أحسن
وصف الحظ كل الإحسان ، وفى الحظ موعظة كبيرة .

بستول : الحظ عدو لباردولف ، ويعبس فى وجهه دائماً .
لأنه سرق وعاء القداس[1] ولابد له أن يشنق
فيا لها من ميتة تعسة
لتنصب المشانق للكلاب ، أما الرجال فليتركوا أحراراً .
فما ينبغى لحنجرته أن تختنق بحبل .
لكن أكستر قضى بإعدامه ، من أجل وعاء زهيد الثمن .
لهذا أسألك أن تذهب وتتكلم . فالدوق يصغى لما تقول .
ولا تدع خيط حياة باردولف يُقطع بحبل رخيص ولمذنب
ضئيل .
تكلم أيها اليوزباشى لإنقاذ حياته ، وسأكافئك .

فلولن : يا حامل العلم بستول ! إنى أكاد أفهم ما تعنيه .

بستول : إذن فلنستبشر .

فلولن : أو كذلك فى حامل العلم أخشى أنه ليس هناك محل
للاستبشار . فإنه لو كان أخى لوددت أن يستعمل الدوق
حقه ويقضى بإعدامه .

---

(١) وعاء يحفظ فيه القربان المقدس الذى يستعمل فى القداس .

فإن النظام لابد أن يسود .

بستول : عليك الموت واللعنة ، وسحقاً لصداقتك !

فلولن : حسن

بستول : اخسأ إذن !

(يخرج)

جور : يا له من وغد زائف لئيم ،
الآن تذكرته فهو قوّاد نشال .

فلولن : أؤكد لك أنه فاه بعبارات ملؤها الشجاعة فوق الجسر ، لا تسمع لها نظيراً فى أى وقت . ولكن من الخير أنه قال الذى قاله لى ، وأنا الضمين لك بأنه سينال جزاءه فى الوقت المناسب .

جور : ما هو إلا كائن غبى ، أحمق ، فاجر . يذهب إلى ميادين القتال من آن لآن ، لكى يفخر عند عودته إلى لندن بمظهر الجندية . وتراه وأمثاله يتقنون العلم بأسماء كبار القادة ، ويستطيعون أن يسمعوك ، عن ظهر قلب ، أين دارت جميع المعارك فى هذا الحصن أو ذاك ، ولدى أية ثغرة فى الأسوار ، ومع أية سرعة ، وأى المحاربين قاتل بشجاعة وأيهم قُتل ، وأيهم لحقه العار ، وما الشروط التى أصر عليها العدو ، يسردون هذا كله بدقة مستعملين

المصطلحات العسكرية ، ومعززين عباراتهم بألفاظ ولعنات مستحدثة ، ناهيك بما للحيته التى قصت على طريقة القائد والثياب العسكرية المهيبة ، من التأثير ، ما بين الزجاجات الفوارة ، فى عقول غسلتها الجعة . ومع ذلك يجدر بك أن تعرف أولئك الذين يجابون العار للعصر الذى يعيشون فيه ، وإلا جاز لك أن تقع فى خطأ جسيم .

فلولن : أؤكد لك يا يوزباشى جور أنى مدرك تماماً ، أنه ليس بذلك الإنسان ، الذى يريد أن يحمل الناس على الاعتقاد أنه هو . ولئن وجدت وسيلة للكشف عن خبيئته فسأصارحه برأيى فيه .

(يسمع دق طبل)

أنصت . إن الملك مقبل . وسأحدثه عن الجسر .

(طبل وأعلام . يدخل الملك هنرى وجلوستر وجنود)

فلولن : يبارك المولى جلالتكم

الملك هنرى : والآن ما خطبك يا فلولن ؟ هل أتيت من الجسر ؟

فلولن : أجل يا صاحب الجلالة . لقد استطاع دوق أكستر أن يحتفظ بالجسر . وقد ارتد عنه الفرنسيون ، ودارت معارك تمتاز بمنتهى الشجاعة والبسالة . كان العدو مستولياً على معظم الجسر . لكنه اضطر للتراجع . فصار دوق أكستر

هو المسيطر على الجسر ، وأستطيع أن أقول لمولاى إن الدوق رجل شجاع .

الملك هنرى : من فقدتم من الرجال يا فلولن .

فلولن : خسائر العدو جسيمة جداً . والذى أعرفه أن الدوق لم يفقد رجلا واحداً ، اللهم إلا واحداً ينتظر أن يشنق لسرقة ارتكبها فى إحدى الكنائس ، شخص يدعى باردولف ، إذا كانت لجلالتكم معرفة بالرجل ، إن وجهه ملىء بالقروح والندوب ، والنتوءات وآثار الحروق ، وأنفه يتدلى أمام شفتيه وهو تارة يبدو أزرق وتارة أحمر ، غير أن أنفه قد أعدم الآن وخمدت ناره .

الملك هنرى : نريد أن يكون هذا هو الجزاء لأمثال هؤلاء المجرمين . وقد أصدرنا أمراً خاصاً بألا يغتصب شىء من القرى أثناء زحفنا . ولا يؤخذ شىء إلا إذا دُفع ثمنه . ولا يتعرض أحد من الفرنسيين لتأنيب أو لعبارات تحقير . وإذا كان الحلم والقسوة كلاهما يطلب ملكاً ، فإن أرقهما حاشية هو أسرعهما إلى الفوز .

(صوت البوق : يدخل مونجوى)[١]

---

(١) مونجوى Montjoy ليس اسم شخص ، بل لقب لمن يتولى منصب زعيم الرسل والمنادين .

مونجوى : إنك تعرفنى ببزتى .

الملك هنرى : إذن فقد عرفتك . ماذا عسانى أعرفه منك ؟

مونجوى : رأى مولاى .

الملك هنرى : أكشف عنه .

مونجوى : هذا ما قاله ملكى : قل لهنرى ملك إنجلترا : لئن كان يبدو أننا موتى ، فإننا لم نكن إلا نائمين . وانتهاز الفرصة السانحة أشد فتكاً من التسرع . قل له إنا كنا نستطيع تأنيبه فى هارفلير ، ولكنا لم نجد من الحزم فتح الدمل قبل نضجه . والآن جاء دورنا للكلام فى قضيتنا ، وصوتنا ملؤه العظمة والقوة . إن ملك إنجلترا سيندم على حماقته ، وسيحس ضعفه ويعجب بصبرنا وحلمنا .

لهذا قل له أن يتدبر أمر فديته التى يجب أن تتكافأ وما احتملنا من خسارة ، وما فقدنا من رعية ، وما حل بنا من إهانة ، وهو ما تنوء به موارده الضئيلة ، لو أنه أراد أن يؤدى ما عليه كاملاً . فخزينته أفقر من أن تدفع ما خسرناه . وجميع سكان مملكته أقل من أن يكونوا فداء لما أريق من دمائنا . أما ما لحقنا من إهانة ، فإنه لو جثا على ركبتيه أمامنا ، لما كان فى هذا غير ترضية ضئيلة تافهة .

وفوق ذلك أبلغه تحدينا : وقل له فى الختام إنه خان أتباعه

فقد صدر الحكم بإدانتهم ؛ هذا ما قاله مليكى وسيدى ،
وهذه هى مسألتى .

الملك هنرى : وما اسمك أنت ، فإنى أعرف وظيفتك ؟

مونجوى : مونجوى .

الملك هنرى : أجدت تبليغ الرسالة . فعد أدراجك .
وقل للملك إنى لا أبغى محاربته الآن ،
بل كانت رغبتى المضى إلى كاليه
دون اشتباك فى معركة .
وإنى أقول الحق ،
وإن لم يكن من الحزم الاعتراف بهذا كله ،
لعدو يملك القوة والقدرة على التصرف ،
إن قومى أضعفهم المرض ، ونقص عددهم ،
والذين معى الآن ليسوا أحسن من مثلهم فى العدد من الفرنسيين .
مع أنهم ، وهم فى تمام صحتهم ،
وهذا ما أقوله لك أيها الرسول ،
يعادل الواحد منهم ثلاثة من الفرنسيين .
والله يغفر لى أن أسرفت فى الفخر على هذه الصورة .
فإن هواء بلادكم الفرنسية هذه قد بث هذه الرذيلة فى نفسى

وأنا لهذا جد نادم .
انطلق إذن وقل لمولاك : هأنذا .
ليس لى فداء سوى هذا الجسد الهزيل الحقير .
وجيشى جنود ألح عليهم الضعف والسقم .
ولكن قل له : إنى أشهد الله على أننا سنمضى فى سبيلنا ،
ولو اعترض طريقنا ملك فرنسا نفسه ، ومن يناصره من جيرانه .
هذا ما أرد به على مجهودك يا مونجوى .
فعد إلى مولاك وقل له يتدبر أمره جيداً .
إذا خلّى لنا الطريق فسنمضى فيه
أما إذا منعنا فإننا سنخضب أرضكم الصفراء بدمائكم الحمراء .
وداعاً يا مونجوى . إن خلاصة ردنا هو ما يأتى :
إننا فى حالتنا التى نحن عليها لن نسعى إلى الحرب .
غير أننا مع حالتنا التى نحن عليها
أؤكد لك أننا لن نفر منها .
هكذا فلتبلغ مولاك .

مونجوى : سأبلغه هذا وشكراً لسموكم .

(يخرج)

جلوستر : أرجو ألا ينقضوا علينا الآن ،

الملك هنرى : نحن يا أخى فى يد الله ولسنا فى أيديهم .
سر بنا إلى الجسر ، فإن الليل قد اقترب
وسنقيم معسكرنا وراء النهر .
وفى الفجر نأمر الجيش بالمسير .

* * *

المنظر السابع

المعسكر الفرنسى بالقرب من آجنكور

(يدخل القائد الأعلى لفرنسا واللوردات رامبوريس وأورليان وولى العهد وآخرون)

القائد : صه ! فإن لدى أقوى فرقة مدرعة فى العالم . وددتُ لو كان الوقت نهاراً .

أورليان : إن دروعك عظيمة جداً . ولكن اجعل لخيلى نصيبها من التقدير .

القائد : إنها أفضل خيل فى أوربا .

أورليان : ألن يطلع النهار أبداً ؟

ولى العهد : سيدى دوق أورليان ، وسيدى القائد الأعلى . هل تتحدثان عن الخيل والدروع ؟

أورليان : إن ما لديك منهما يعادل ما عند أى أمير فى العالم .

ولى العهد : يا لهذا الليل ما أطوله . إنى لن أستبدل بحصانى أى جواد آخر ليس له سوى قوائم أربع هاها ! إنه ليثب من الأرض كأن جوفه محشو بالشعر . فهو كالحصان الطائر بيجاسوس[1] المتوقد المنخرين ، إذا ركبته فإنى أحلق كأنى صقر ، لأنه يعدو فوق الهواء ، فإذا لمس الأرض سمع لها غناء ، كأن أحقر مزمار فى حافره ، أعذب نغماً من ناى الإله عطارد .

أورليان : إن لونه كلون جوزة الطيب.

ولى العهد : وحرارته كحرارة الزنجبيل . إنه حصان من خيل فرساوس . مركب من هواء نقى ونار ، ليس فيه أثر من العنصرين الغليظين الماء والتراب ، اللهم إلا فى لحظة الهدوء التام عندما يركبه صاحبه ، فياله من جواد ! أما سائر الخيل فما هى إلا دواب .

القائد : أجل يا مولاى . إنه لحصان عظيم بالغ منتهى الكمال .

ولى العهد : إنه أمير الجياد ، وصهيله يحكى النطق الملكى ، ومحياه يفرض الاحترام .

أورليان : حسبك يا ابن العم .

---

(١) Pegasos حصان فرساوس المجنح ، الذى ركبه حين ذهب لإنقاذ أندروميدا .

ولى العهد : كلا ! ما أقل ذكاء الرجل الذى لا يستطيع أن يمدح جوادى المدح المنوع الذى يليق به . من مطلع الشمس إلى مغيبها . إن هذا موضوع فياض كالبحر الزاخر ، يحيل الرمال إلى ألسنة فصيحة . إن حصانى حجة يدلى بها فى كل مناسبة . وهو موضوع خليق بأن يتحدث عنه ملك من الملوك ، ولأن يتخذه ملك الملك مطية يركبها ، والعالم كله ، سواء ما نعلمه منه أو نجهله ، همهم أن يتركوا أعمالهم ليتأملوه بإعجاب . لقد كتبت فى مدحه مرة قصيدة مطلعها : « أعجوبة الطبيعة . . . »

أورليان : إنى سمعت قصيدة فى إحدى العشيقات لها هذا المطلع .

ولى العهد : لابد أنهم قلدوا ما نظمته فى جوادى .

إن فرسى هو حبيبتى .

أورليان : إن حبيبتك تحسن الحمل[1] .

ولى العهد : إنها تحسن حملى ، وهذا هو صريح المدح والإطراء لكل عشيقة مخلصة وفية .

القائد : ولكن بالأمس خيل لى أنها هزت ظهرك هزاً عنيفاً .

ولى العهد : ربما كان هذا ما أصابك أيضاً .

القائد : إن ركوبتى لم تكن ملجمة .

(١) فى هذه العبارة وما بعدها تلاعب فى الألفاظ والإشارات المشتركة للفرس والعشيقة .

ولى العهد : أكبر الظن إذن أنها كانت متقدمة فى السن ، رقيقة الحاشية ، وقد ركبتها كفارس إيرلندى قليل الثبات ، عارى الرجلين ، بعد أن نزعت سراويلك الفرنسية .

القائد : إنك صائب الرأى فى شئون الفروسية .

ولى العهد : دعنى إذن أحذرك . . إن الذين يركبون بهذه الصورة دون أن يأخذوا حذرهم ، يقعون فى بؤرات قذرة ، لهذا ترانى مؤثراً حصانى على عشيقتى .

القائد : وأنا أفضل أن تكون ركوبتى حبيبتى .

ولى العهد : اعلم أيها القائد أن حبيبتى شعرها طبيعى .

القائد : لو أن حبيبتى خنزيرة لاستطعت أن أفخر بمثل ما تفخر به .

ولى العهد : « كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة »[١]

القائد : إنى مع ذلك لا أجعل من جوادى عشيقة . أما المثل الذى ذكرته فبعيد جداً عما نحن بصدده .

رامبورس : سيدى القائد . رأيت درعاً فى خيمتك الليلة فهل كان ما عليه نجوماً أو شموساً ؟

القائد : نجوماً يا سيدى .

---

(١) من رسالة بطرس الرسول الثانية ، الإصحاح الثانى : ٢٢ ، وقد أورد شكسبير هذا الاستشهاد باللغة الفرنسية .

ولى العهد : أرجو أن يسقط بعضها غداً .

القائد : ولكن سمائى لن يعوزها النجم .

ولى العهد : هذا جائز ، فإنك تلبس منها ما يزيد على الحاجة ، ومما يزيدك شرفاً أن يسقط بعضها .

القائد : وهذا يشبه المدائح التى قلدت بها جوادك . فإنه سيعدو بنفس البراعة ، لو أقللت من تبجحك .

ولى العهد : ليتنى استطعت أن أقلده كل ما هو به جدير ! أما آن أن يطلع النهار ؟
غداً سأعدو ميلا بجوادى . وسيكون طريقى مفروشاً بوجوه إنجليزية .

القائد : لا أريد أن أنطق بمثل هذا القول ، خوفاً من ألايتحقق كل ما أرجو.
ولكنى أود لو كان الوقت صبحاً ، لأنى أود أن أضرب آذان الإنجليز .

رامبوريس : من منكم يخاطر معى فى أسر عشرين أسيراً ؟

القائد : لابد لك أن تخاطر بنفسك قبل أن تنالهم .

ولى العهد : انتصف الليل ، وسأذهب لألبس أدرعى .

(يخرج)

أورليان : إن بولى العهد شوقاً شديداً للصباح .

رامبورس : إن به شوقاً لالتهام الإنجليز .

القائد : إنه سيلتهم كل من يستطيع قتله .

أورليان : أقسم بكف حبيبتي البيضاء ، إنه لأمير شجاع .

القائد : أقسم بقدمها ، حتى يمكنها أن تدوس على قسمك . .

أورليان : إنه بلا شك أنشط السادة فى فرنسا .

القائد : إن النشاط هو العمل . وهو دائماً راغب فى أن يعمل .

أورليان : لم أسمع عنه أنه أتى عملا ضاراً .

القائد : ولن يأتيه غداً . إنه سيظل محتفظاً بذلك الاسم الطيب .

أورليان : إنى أعلم أنه شجاع

القائد : قال لى هذا شخص يعرفه أحسن مما تعرف .

أورليان : ومن ذاك ؟

القائد : بحق العذراء لقد أخبرنى هو نفسه بذلك .
وقال إنه لا يبالى إذا عرف هذا كل الناس .

أورليان : لا حاجة به إلى ذلك. إن شجاعته ليست فضيلة مستورة .

القائد : بلى يا سيدى ، أقسم بدينى أنها لمستترة ،
لم يرها أحد سوى خادمه[1] .
فهى شجاعة مغطاة ، فإذا انكشف الغطاء عنها تضاءلت .

أورليان : إن الحقد لا يقر بالفضل .

(١) أى إنه ليس شجاعاً إلا على خادمه .

فيطوف بأتباعه الأغبياء، بعيداً عن كل معروف ومألوف لهم.

القائد : لو رُزق الإنجليز حظًّا من الفهم لركنوا إلى الفرار .

أورليان : ذلك ما يعوزهم . ولو كانت رؤوسهم مدرعة بالذكاء لما اضطروا للبس مغافر ثقيلة إلى هذا الحد .

رامبورس : إن جزيرة إنجلترا هذه تنتج كائنات متناهية فى البسالة . فشجاعة كلابهم منقطعة النظير .

أورليان : يا لها من كلاب بلهاء ! إنها تجرى بغير التفات إلى فم دب روسى ، يحطم رأسها كأنها تفاحة عفنة . وعلى هذا النحو تستطيع أن تصف بالبسالة والإقدام برغوثاً تجرأ أن يتناول فطوره على شفة أسد .

القائد : هذا هو الحق ، والرجال يشبهون الكلاب فى قوة أجسادهم وخشونة طباعهم ، ويتركون عقولهم عند زوجاتهم ، فإذا أطعمتهم وجبات ضخمة من لحم العجل ومن الحديد والفولاذ أكلوا كالذئاب ، وحاربوا كالشياطين .

أورليان : ولكن الإنجليز يعانون الحرمان من لحم العجل .

القائد : إذن سنجدهم غداً شديدى الرغبة فى الأكل لا فى القتال. الآن لابد لنا أن نلبس دروعنا ، فهلموا بنا

أورليان : الساعة الثانية . ولن تأتى العاشرة
حتى يستولى كل منا على مائة من الإنجليز .

(يخرجون)

الفصل الرابع

يدخل المعقب

تصوروا الآن وقتاً من الأوقات
امتلأ فيه هذا الكون الفسيح ،
همهمة وهينمة وظلاماً دامساً .
وقد أخذت تتردد من معسكر لمعسكر ،
فى جوف الليل البهيم ، أصوات الهمس الخافتة ،
المنبعثة من كلا الجيشين .
حتى يوشك كل فرد من الحرس
أن يتلقى أنباء رقابته من زميله فى همس خافت
وبين النيران تجاوب ومن خلال لهيبها الشاحب
يلمح كل جيش صورة الآخر فى ضوء كلون الكهرمان .
والجياد يهدد بعضها بعضاً بصهيل عال جرىء .
يخترق أذن الليل الصماء
ومن الخيام تنبعث أصوات صانعى الدروع
وهم يتمون تدريع الفرسان ،
بضربات من مطارقهم يثبتون بها المسامير ؛

فيكون ذلك إيذاناً مخيفاً بالاستعداد .
إن الديكة فى القرى تصيح . ونواقيس الساعات تدق ،
وهى تعلن الساعة الثالثة من صباح راكد ناعس .
هاهم أولاء الفرنسيون الفرحون المرحون ،
يباهون بعديدهم ، مسرفين فى الثقة بأنفسهم .
يلعبون بزهر النرد على الإنجليز المهملين[١] !
ويلومون الليل الأعرج البطىء الخطى ، لأنه يمضى متثاقلا
كأنه ساحرة قذرة دميمة تسعى على رجل واحدة .
أما الإنجليز البائسون المقضى عليهم ،
فجلوس صابرون حول نيرانهم الساهرة ، كأنهم القرابين .
ينعمون الفكر فى أخطار الغد .
ويبدون أمام القمر الذى يحدق فيهم ،
وهم يحركون أيديهم ويلبسون دروعهم
على خدود هزيلة وثياب أبلاها القتال ،
وكأنهم أشباح تبعث الرعب .
ومن أراد الآن أن يشاهد القائد الملكى لهذه الجماعة البائسة ،
وهو ينتقل من مخفر إلى مخفر ومن خيمة إلى خيمة
فليرفع صوته هاتفاً : « الحمد والمجد للرأس الأعظم ! »

---

(١) يلعبون بالزهر بحيث يكون المكسب أو الخسارة عدداً من الجنود الإنجليز .

إنه يخرج ليزور جنوده جميعاً ،
يقرئهم تحية الصباح ، وهو يبتسم متواضعاً ،
يدعوهم إخوانه وأصدقاءه ومواطنيه .
وليس على محياه الملكى أية إشارة .
تشعر بأن جيشاً هائلا قد أحاط به
وليس فى محياه أثر يدل على أنه قضى الليل ساهراً متربصاً .
إن علامات الإجهاد يخفيها وجهه السمح ومظهر البشر
وجلال الملك .
فكان كل بائس شقى يستمد القوة من محياه .
بعد أن كان مجهداً شاحب الوجه .
إنه لينشر كرمه بين الجميع ،
كما تنشر الشمس أشعتها على جميع الناس .
فتبدد الخوف ، وتشيع الأمن
وهكذا يحظى الجميع — خاصهم وعامهم —
باتصال قليل بهنرى أثناء الليل
وسنحاول أن ننقل هذا على الرغم من قصورنا ،
فلابد للمنظر أن يتحول إلى ميدان حرب ،
حيث نلحق وصمة باسم آجنكور الجميل ،
بهذه السيوف الأربعة أو الخمسة الحقيرة ،

التى لا تكاد تصلح حتى للمعارك الهزلية
ولكن اجلسوا وانظروا
وردوا ما ترونه من الضحكات إلى صورها الأصلية .

(يخرج)

* * *

المنظر الأول

المعسكر الإنجليزى بآجنكور

يدخل الملك هنرى وبدفورد وجلوستر .

الملك هنرى : حقاً يا جلوستر ، إننا لفى خطر عظيم ،
ولهذا لابد أن تكون شجاعتنا أعظم وأخطر .
عم صباحاً يا بدفورد . تبارك الله !
إن كل شر ينطوى دائماً على عنصر من الخير
لو أن الناس بذلوا جهداً لاستخراجه .
فها هو ذا جارنا الشرير قد جعلنا من المبكرين .
وفى هذا صحة ، وفيه كسب ومغنم
وأعداؤنا بمثابة ضمائرنا التى تؤنبنا وتعظنا ،
وتنصحنا أن نعد أنفسنا بهمة لتحقيق أهدافنا ،

وهكذا ربما جنينا الشهد من الأعشاب .
وأخذنا الحكمة من الشيطان نفسه .

(يدخل اربنجهام)

عم صباحاً أيها الشيخ سير توماس إربنجهام !
كان الأجدر برأسك الأشيب الوقور وسادة ناعمة طرية .
بدلاً من أن تتوسد عشب فرنسا الخشن

اربنجهام : ليس الأمر كذلك يا مولاى . إن هذا المضجع أحب إلىّ .
إذ أستطيع أن أقول : « الآن أرقد مثل الملك » .

الملك هنرى : من الخير للرجال أن يحبوا ما هم فيه من مشقة
حتى يكونوا مثالاً يحتذى ، وتنعم بذلك روحهم .
وعندما ينتعش العقل ، بعد الإفاقة من النوم ،
تنهض الجوارح من مقبرة نعاسها ،
بعد أن كانت هامدة مائتة .
وتتحرك من جديد ، وقد خلعت إهابها ، وتجدد نشاطها[١]
أعرنى معطفك يا سير توماس ، ويا أيها الإخوان :

---

(١) يشرح الشاعر هنا فكرة أن النوم نوع من الموت . والقيام منه نوع من البعث يتجدد به النشاط . والإشارة إلى خلع الإهاب ، تشبيه بالأفعى التى يعتريها نشاط عظيم ، بعد أن تخلع جلدها القديم .

بلغوا سلامى إلى من بمعسكرنا من الأمراء ،
وأقرئوهم عنى تحية الصباح
واسألوهم أن يبادروا بالحضور إلى خيمتى .

جلوستر : سنفعل يا مولاى .

اربنجهام : هل أظل بمعية جلالتكم ،

الملك هنرى : كلا أيها الفارس الكريم
اذهب مع أخوى إلى لوردات إنجلترا
فلا بد لى أن أتحدث إلى نفسى قليلا .
ولا أريد عندئذ أن يكون بصحبتى أحد .

اربنجهام : يرعاك رب السماء . يا هنرى النبيل .

(يخرج الجميع ما عدا الملك)

الملك هنرى : إنك تتحدث وأنت مرح

يدخل بستول

بستول : من هناك ؟

الملك هنرى : صديق . .

بستول : أجبنى هل أنت من الضباط ؟
أو أنت شخص وضيع من عامة الناس ؟

الملك هنرى : أنا من السادة وأقود كتيبة .

بستول : أمن المشاة الذين يجررون حرابهم العظيمة ؟

الملك هنرى : أجل . ومن أنت ؟
بستول : أنا أحاكى الإمبراطور سؤدداً .
الملك هنرى : أنت إذن أسمى مقاماً من الملك
بستول : الملك فتى ظريف ، وله قلب من ذهب ،
شاب ملىء بالحياة ، بعيد الشهرة ذائع الصيت
كريم الأبوين له ساعد فى منتهى البسالة .
إنى أقبل حذاءه القذر ، وأحبه من صميم قلبى .
فهو فتى جرىء ظريف . وأنت ما اسمك .
الملك هنرى : اسمى هارى لروى[1] .
بستول : لروى ؟ هذا اسم من كرتوال .
أأنت من السرية الكرتوالية ؟
الملك هنرى : بل أنا من بلاد ويلز[2]
بستول : أتعرف فلولن ؟
الملك هنرى : نعم .

---

(١) Harry Le Roy صيغة فرنسية لاسم « هنرى الملك » ويلتبس الأمر على بستول الذى لا يعرف الفرنسية . كما سنرى فى المنظر الرابع ، فيحسبه من أهل كوال وهى آخر مقاطعات إنجلترا فى الجنوب الغربى .

(٢) ولد هنرى عام ١٣٨٧ فى بلدة مونموث Monmouth ، وكانت فى ذلك الوقت فى الجنوب الشرقى من بلاد ويلز ، وأكثر سكانها من ويلز ، وهى اليوم داخلة فى إنجلترا . وسيتردد فى المسرحية أن هنرى من أبناء ويلز بسبب مولده فى تلك البلد .

بستول : قل له إنى سأقرع رأسه بكراته
يوم عيد القديس داود[١] .

الملك هنرى : لا تجعل خنجرك فى قبعتك فى ذلك اليوم
لئلا يضرب به رأسك .

بستول : أأنت صديقه ؟

الملك هنرى : ومن أقاربه أيضاً .

بستول : إذن فلتخسأ أنت أيضاً .

الملك هنرى : أشكرك ، وليكن الله معك !

بستول : إننى أدعى بستول . (يخرج)

الملك هنرى : اسم يلائم شراستك[٢] .

(يدخل جور وفلولن)

جور : يوزباشى فاولن !

فلولن : أستحلفك باسم يسوع المسيح ، أن تُقِلّ الكلام .
من المدهش حقّاً فى هذا العالم أن المبادئ القديمة السامية ،
وقوانين الحرب لا يرعاها أحد . ولو أنك كلفت نفسك
مشقة الاطلاع على حروب بومبى الكبير ، لوجدت
بلا ريب أنه لم يكن فى معسكر بومبى ثرثرة ولا طمطمة .

---

(١) هو يوم أول مارس ومن أعياد أهل ويلز والكراثة شعار بلاد ويلز .
(٢) Pistol والإنجليزية معناها الطبنجة أو المسدس .

وأؤكد لك أنك ستجد أن حفلات الحرب ، وتشكيلاتها ، ونظمها ، ودقة إدارتها كانت خلاف ما نشهده اليوم .

جور : إن أصوات العدو عالية ، نسمعها الليل كله .

فلولن : إذا كان العدو حماراً وأحمق ، وأبله ثرثاراً ، فهل يليق بأحدنا أن يكون مثله حماراً وأحمق ، وثرثاراً أبله ؟ أستحلفك بضميرك .

جور : سأتكلم بصوت خافت

فلولن : أرجوك وألتمس منك أن تفعل

(يخرج جور وفلولن)

الملك هنرى : على الرغم من أن قوله لا يخلو من الخروج عن المألوف ، فإن فى كلام هذا الويلزى الكثير من الدقة والجرأة .

(يدخل ثلاثة جنود : جون بيتس ، إسكندر كورت ، وميكائيل وليمس) .

كورت : أخى جون بيتس ، أليس ذلك هو الفجر ، يطلع من هناك ؟

بيتس : أظن ذلك ، ولكن ليس لدينا سبب كبير يرغبنا فى اقتراب النهار .

وليمس : إننا نشاهد هناك بدء النهار ، وأخشى ألا نرى نهايته . من الماشى هناك ؟

الملك هنرى : صديق .

ويمس : تحت إمرة أى قائد تحارب ؟

الملك هنرى : تحت إمرة سير توماس أربنجهام .

ويمس : قائد محنك قديم . وسيد من كرام السادة .
هل لك أن تخبرنى عن رأيه فى حالتنا الراهنة ؟

الملك هنرى : رأيه أننا قوم ألقت بنا سفننا المحطمة على الرمال .
ولا يلبث المد التالى أن يغرقنا !

بيتس : ولكنه لم يبلغ رأيه هذا للملك ؟

الملك هنرى : كلا ، وما ينبغى له أن يفعل ،
لأن الملك ، وهذا رأيى الخاص ، ما هو إلا بشر مثلى .
فأريج البنفسج سواء فى أنفه وأنفى . والسماء تبدو له كما
تبدو لى ، وحواسه كلها لا تختلف عن حواس الناس .
وإذا طرحنا جانباً مظاهر الملك . رأيناه يبدو ، وهو عار
منها ، كأى إنسان ، وعلى الرغم من أن طموحه ، إذا حلق ،
يسمو فوق طموحنا ، فإنه إذا هبط كان هبوطه على نفس
الأجنحة . ولهذا فإنه إذا رأى أسباباً تبعث على الخوف ،
كالتى نراها ، فإن مخاوفه بلا شك تحاكى مخاوفنا .
ولكن لديه أسباباً تقضى بألا يراه أحد وعليه مظاهر الخوف ،
لئلا يؤدى ذلك إلى إضعاف روح الجيش .

بيتس : فليتظاهر بما يشاء من الشجاعة . لكنى واثق أنه بالرغم من برودة الليل ، يتمنى لو أنه الآن فى نهر التيمس غارقاً فيه إلى عنقه ، وأنا أيضاً أتمنى له ذلك ، وأود لو كنت معه ، مهما كانت العواقب ما دمنا بعيدين عن هذا المكان .

الملك هنرى : إنى وأيم الحق ، إذا حدثتكم بما فى نفسى عن الملك ، فإنى لا أظن أنه يتمنى أن يكون فى مكان آخر غير الذى هو فيه الآن .

بيتس : عندئذ أتمنى لو كان هنا وحده . وفى هذه الحالة لا شك أنه سيُفتدى ، وينجو الكثير من الناس بأرواحهم .

الملك هنرى : يغلب على ظنى أن حبك له ليس من الضعف بحيث تتمنى لو كان هنا وحده .
ولكنك تقول ذلك لكى تستطلع رأى الغير . أما أنا فيخيل إلىّ أنى لن أرضى لنفسى أن أموت فى أى مكان إلا فى صحبة الملك . فإن مطلبه عدل ، وحربه شريفة .

ويليمس : هذا أكثر مما نعرفه عن هذا الأمر .

بيتس : نعم ، أو أكثر مما يهمنا البحث عنه . فحسبنا نحن أن نعرف أننا من رعايا الملك ، ولو كانت قضيته غير عادلة فإن الطاعة الواجبة علينا للملك تمحو عنا كل إثم ينجم عنها .

ويليمس : لكن إذا لم تكن القضية عادلة فإن الملك نفسه سيحاسب عليها حساباً عسيراً ، عندما يحين لكل ملك ،

السيقان والأذرع والرؤوس ، التي قطعت فى المعارك ،
أن يجتمع بعضها ببعض يوم القيامة ، وتنادى كلها :
«لقد قتلنا فى معركة كذا» بعضها يلعن ، وبعضها يطالب الجراح ،
وبعضها يندب زوجات تركوهن خلفهم فى فقر شديد ،
والبعض يذكر ديوناً لم يف بها ، وبعضهم يذكر أطفالا
تركهم فجأة . . وإنى لأخشى أن الذين يموتون فى الحرب
قلما يكون موتهم موت المسيحى المتدين . وأنى لهم أن يحسنوا
تصريف أى شىء ،
وكل همهم سفك الدماء ! فإذا لم تتح لهؤلاء الناس ميتة
طيبة ، فإن الملك الذى قادهم يحمل وزراً كبيراً ، لأن
الخروج عن طاعته يتنافى والواجبات المفروضة على الرعية .

الملك هنرى : إذن لو أن ولداً أرسله أبوه فى تجارة ،
فأصابته كارثة وهو فى عرض البحر ، قبل أن يتطهر من
آثامه ، لحاقت بالوالد الذى أرسله عواقب كل ما ارتكبه
الابن من الأوزار طبقاً لقاعدتكم هذه . أو إذا قام
خادم ، تنفيذاً لأمر سيده ، بنقل مبلغ من المال ، ثم
سطا عليه اللصوص وقتلوه ، فقضى نحبه . ولم يكفر
بعد عن خطاياه الكثيرة ، جاز لكم أن تزعموا أن السيد
عليه تبعة اللعنة التى نزلت بخادمه . . كلا إن الأمر بخلاف

ذلك . فليس الملك مسئولاً عن الآثام الخاصة بجنوده ،
ولا الوالد عن ولده ،

ولا السيد عن خادمه ، لأنهم لم يريدوا لهم الموت عندما استخدموهم . وفضلاً عن هذا فإنه ليس فى العالم ملك ، مهما كانت قضيته طاهرة عادلة ، يستطيع ، إذا دعا الأمر إلى الاحتكام إلى السيف ، أن يذهب ليقاتل بجنود كلهم برىء طاهر الذيل ، فمن الجائز أن بعضهم ارتكب جريمة القتل مع توفر النية وسبق الإصرار ، وبعضهم غرر بفتاة عذراء ثم نقض عهده ، وحنث بيمينه ، وبعضهم يجعلون من الحرب حصناً يحتمون به ،

بعد أن طعنوا الأمن فى صدره طعنات دامية ، وأشاعوا النهب والسلب فى البلاد . فإذا كان هؤلاء القوم عبثوا بالقانون وأمكنهم أن ينجوا من عقاب بلادهم ، فإنهم ، وإن أفلتوا من الناس ، ليس لهم أجنحة يفرون بها من الله ، فالحرب هى جلادهم ، وهى النقمة التى تسلط عليهم ، فها هنا يعاقب الناس فى حروب الملك ،

من أجل خروجهم من قبل على قوانين الملك . لقد نجوا بأنفسهم خوفاً من الموت ، فإذا هم يهلكون حيث ظنوا أنهم سالمون.
فإذا مات هؤلاء فى غير توبة ، فلن تقع عليه جريرة لعنتهم ،

أكثر مما تقع عليه جريرة ما ارتكبوه قبلا من الآثام ، التي
يعذبون الآن من أجلها . إن كل واجب يؤديه فرد من
الرعية إنما هو واجب يؤديه لمليكه، ولكن نفسه ملك له ،
لهذا وجب على كل جندى يخوض غمار الحرب ، أن
يفعل ما يفعله المريض الراقد فى فراشه ،
وذلك بأن يطهر ضميره من كل شائبة تشوبه . فإذا مات
على هذا النحو كان ذلك فى مصلحته . وإذا لم يمت فإن
الوقت الذى قضاه فى ذلك الاستعداد كان كسباً وغنماً .
وهذا الذى ينجو لن يرتكب شيئاً من الإثم إذا اعتقد أنه
وقد قدم لله هذا القربان دون مقابل قد عاش حتى شاهد
عظمته بعينيه. وعلّم غيره من الناس كيف يستعدون للقائه .

ويليس : من المؤكد أن من يمت فى الإثم ، فعليه جريرة إثمه ،
وليس الملك مسئولاً عنه .

بيتس : لست أبغى منه أن يكون مسئولاً عنى . ومع ذلك صح
عزمى على أن أحارب بقوة من أجله .

الملك هنرى : أنا نفسى سمعت الملك يقول إنه لا يريد أن يفتدى

ويليس : أجل ، قال ذلك لكى يجعلنا نحارب بصدر منشرح ،
ولكن إذا قطعت أعناقنا جميعاً، فربما افتدوه دون أن نعلم
من الأمر شيئاً .

الملك هنرى : إذا عشت حتى أشهد هذا فلن أثق بكلمته بعد ذلك .

ويمس : هو أجيرك إذن ! إنها لطلقة خطيرة من بندقية حقيرة ، حينما يسخط صعلوك حقير على ملك .
أهون عليك أن تحيل الشمس إلى ثلج بأن تروح على وجهها بريشة طاووس .
إذن فإنك لن تثق بكلمته بعد ذلك ! أظنك توافقنى على أن هذه عبارة طائشة .

الملك هنرى : إن تأنيبك فيه عنف . وهو خليق أن يثير سخطى عليك ، لو أن الوقت كان يلائم هذا السخط .

ويمس : ليكن هذا خصاماً بيننا ، إذا قدر لك أن تعيش .

الملك هنرى : قبلت الخصومة .

ويمس : وكيف أستطيع التعرف عليك فيما بعد .

الملك هنرى : أعطنى أى قفاز من عندك ، فألبسه فى قلنسوتى ، فإذا تجرأت يوماً وتعرفت عليه بادرت بمبارزتك .

ويمس : هاك قفازى . وأعطنى أحد قفازيك

الملك هنرى : هاكه .

ويمس : سألبس هذا أيضاً فى قبعتى ، فإذا جئتنى بعد غد ، فقلت لى إن هذا قفازى ، ناولتك بكفى هذه صفعة على الأذن .

الملك هنرى : لئن قُدر لى أن أعيش لأرى هذا القفاز ، فإنى سأتحداك.

وليمس :. أولى لك أن تتحدى المشنقة .

الملك هنرى : سأفعل ما قلت ، ولو أمسكت بك فى حضرة الملك .

وليمس : حافظ على كلمتك إذن ، وإلى اللقاء .

بيتس : كونوا أصدقاء ، أيها الإنجليز الحمق ، كونوا أصدقاء ! فلدينا من المنازعات الفرنسية ما يكفينا ، لو أنكم استطعتم التفكير فى الأمر .

الملك هنرى : ربما جاز للفرنسيين أن يراهنوا بعشرين كرونا[1] على كرون واحد ، أنهم سيغلبوننا فإنهم يحملون هذه الكرونات — كما يحملون رءوسهم — فوق أكتافهم ، ولا جناح على الإنجليز أن يقطعوا تلك الرءوس . وسيكون الملك نفسه أحد قطاع الرءوس .

(يخرج الجنود)

إذن على الملك يقع العبء كله .
فلنضع على عاتقه حياتنا وأرواحنا ، وديوننا وزوجاتنا الحزينات ، وأطفالنا ، وخطايانا !
علينا أن نحمل هذا كله . فياله من واجب ثقيل !
إن توأم العظمة والمجد بات خاضعاً لكل عبارة

(١) الكرون عملة ذهبية كانت تساوى ستة شلنات فى ذلك الوقت .

يفوه بها كل أحمق ، لا يستطيع أن يحس
شيئاً سوى آلام بطنه .
ألا ما أعظم راحة القلب ، التي حُرمها الملك وينعم بها
العامة ،
وهل لدى الملوك شيء ليس في متناول العامة أيضاً ،
اللهم إلا أبهة الملك ، تلك الأبهة العامة .
أي شيء أنتِ أيتها الأبهة التي يعبدها الناس ؟
أي نوع من الآلهة أنت ، يا من تعانين من الآلام الفتاكة
أكثر مما يعانيه عبّادك ؟
ما الثمن الذي تؤديه ؟ وأي كسب تكسبينه ؟
أيّها الأبهة ، أريني مالَكِ من قيمة !
أي نوع من العبادات يُتقرب بها إليك ؟
وهل أنت إلا مكان ورتبة ومظهر ،
مما يثير الهيبة والخوف في قلوب الناس ؟
ومع ذلك فإن اغتباطك بتلك الرهبة
أقل من اغتباطهم هم بخوفك ،
ماذا عساك أن تشربي ، بدلاً من الولاء العذب ،
سوى الملق المسموم ؟ فليحل السقام بك أيّها العظمة الملكية ،

ثم التمسى الدواء من أبهة الملك !
أتحسبين أن الحمى المتوقدة سينطفئ لهيبها ،
بما يدلى به المتملقون من عبارات المدح الجوفاء ؟
هل تهرب الحمى من ركوع الراكعين وسجود الساجدين ؟
وإذا استطعت أن تجعلى السائل يجثو على ركبتيه ،
فهل تستطيعين أن تنالى ما بها من القوة والصحة ؟
كلا ، أيها الحلم الخداع ، الذى تغرر بالملوك أثناء نومهم
فإنى ملك سرعان ما أكشف عن حقيقتك .
وأعرف أنه لا الزيت المقدس[1] ولا الصوبجان والأكرة ،
ولا السيف والمخصرة ، والتاج الإمبراطورى الفخم ،
ولا الحلة التى أحكم نسجها بخيوط الذهب وحبات اللؤلؤ .
ولا ألقاب التعظيم والتزلف التى يخاطب بها الملك .
ولا العرش الذى يجلس عليه ،
ولا تيار المجد الذى يضرب شواطئ هذا العالم .
هذه كلها ، وغيرها من عناصر الأبهة والفخامة ،
لا تستطيع ، إن اضطجعت فى سرير بالغ الروعة والجلال
أن تنام ملء جفونها كما ينام العبد الشقى .
الذى يذهب إلى مرقده بجوف ملىء وبال خال .

---

(١) زيت خاص زكى الرائحة ، يمسح به رأس الملك عند تتويجه بيد رئيس الأساقفة.

وقد حشا بطنه بخبز ، ناله بشق النفس .
ولا يعرف ما الليلة الليلاء . ولِيدة الجحيم والشقاء ،
بل تراه كالخادم ، الذى يجرى بجانب مركبة سيده ،
يتصبب عرقاً فى حرارة الشمس نهاراً ، وفى الليل ينام فى جنة النعيم .
ولا يكاد يطلع فجر اليوم التالى ، حتى ينهض ،
ليعاون إله الشمس فى إعداد مركبته[1] .
وهكذا تمر به السنون ، وهى تجرى أبداً ،
وهو دائب فى عمله النافع ، حتى يوارى فى رمسه .
فلولا أبهة الملك لكان هذا الصعلوك ،
الذى يقضى أيامه كادحاً ، ولياليه نائماً ،
أسعد حظًّا وأنعم بالاً من الملك .
إن العبد له نصيب من أمن الدولة وينعم به .
ولكن عقله البليد قلما يدرك ما يعانيه الملك من عناء وسهر ،
حتى تنعم البلاد بالأمن والسلام .
الذى يفيد الفلاح من ساعاته . أجل الفوائد .

(يدخل إربنجهام)

---

(١) كان القدماء يرون أن إله الشمس يزرع السماء بمركبته كل يوم .

أربنجهام : إن نبلاءك يا مولاى أزعجهم غيابك ،
فأخذوا يبحثون عنك فى مخيمك

الملك هنرى : أيها الفارس الكريم .
اجمعهم واصحبهم إلى خيمتى ،
وأسبقكم إليها .

أربنجهام : سأفعل يا مولاى . (يخرج)

الملك هنرى : رباه يا إله الحروب ! اجعل قلوب جنودى من الفولاذ .
ولا تجعل الخوف يتسرب إليهم ،
وانزع منهم فى هذه الساعة المقدرة على العدّ والحساب .
إذا كانت أعداد خصومنا تروع قلوبهم بضخامتها ،
ولا تحاسبنا اليوم يا رب ! لا تحاسبنا اليوم !
على ما ارتكب أبى من ذنب ، ليستولى على التاج [1] .
لقد أودعت جسم رتشارد ضريحاً جديداً
وسكبت عليه من الدمع الحزين
أكثر مما تساقط منه من قطرات الدم .
إن خمسمائة من الفقراء يتناولون أجرهم كل عام
لكى يرفعوا أكفهم الذابلة نحو السماء مرتين كل يوم .

---

(١) أبوه هنرى الرابع استولى على الملك ببعض الحيلة من رتشارد الثانى ، وكان هذا الملك يقرب هنرى الخامس منه وهو صبى ، فنشأت بينهما مودة .

يلتمسون الرحمة والغفران عما جرى من الدماء .
وكذلك بنيت صومعتين ، لكى يتلو القساوسة فيهما الأناشيد
فى جد وحزن ، من أجل روح رتشارد .
وسأفعل غير هذا . فإذا كان كل ما أستطيعه ضمئيل
القدر ، فإنى أتقدم ، يحدونى الندم ، لألتمس الصفح
والمغفرة .

(يدخل جلوستر)

جلوستر : مولاى .

الملك هنرى : هذا صوت أخى جلوستر ! أجل ،
وإنى لأعرف ما قدمت من أجله . وسأذهب معك .
إن اليوم ، والأصدقاء ، وكل شىء فى انتظارى

(يخرجان)

* * *

المنظر الثانى

المعسكر الفرنسى

(يدخل ولى العهد وأورليان ورامبورس وبومونت)

أورليان : إن الشمس تُذهّب دروعنا بشعاعها ، فانهضوا يا سادة .

ولى العهد : اركبوا الخيل ! حصانى ! يا غلام ! أيها السائس أسرع !

أورليان : حبذا هذه الروح الباسلة !

ولى العهد : هلموا ولنقتحم البحار والأرضين !

أورليان : ولا شيء غير هذا ؟ ألا نقتحم الهواء والنار أيضاً ؟

ولى العهد : والسماء أيضاً يا ابن عمى أورليان

(يدخل القائد الأعلى)

والآن يا سيدى القائد العام !

القائد : أنصتوا لخيلنا وكيف تصهل طلباً للقتال .

ولى العهد : اركبوها ، وأحدثوا فى جوانبها جراحاً بمهاميزكم ،
حتى يتطاير منها الدم الحار فى عيون الإنجليز .
فتطفىء دماؤها المتناثرة حماستهم وشجاعتهم !

رامبورس : ماذا تعنى ؟ أتريد أن تكون دموعهم من دماء خيلنا ؟
فكيف إذن يتاح لنا أن نرى دموعهم الحقيقية .

(يدخل رسول)

الرسول : لقد تأهب الإنجليز للحرب أيها النبلاء الفرنسيون

القائد : إلى خيلكم ، أيها الأمراء الشجعان ! إلى الخيل فوراً .
انظروا إلى تلك العصابة الهزيلة الجائعة ،
لن يلبث جمعكم الفخم أن يمتص أرواحهم .
ويذرهم هياكل وقشوراً خاوية .
ليس هناك عمل كاف لأن يشغلنا كلنا ،

ويوشك ألا يكون فى جميع عروقهم المريضة من الدماء
ما يكفى لأن يصطبغ به كل صارم من صوارمنا .
إن أبطالنا الفرنسيين سيجردون سيوفهم اليوم ،
ثم يردونها إلى أغمادها . إذ لا يجدون لاستخدامها مجالا :
حسبنا أن ننفخ عليهم فتدحرهم أنفاسنا الباسلة .
لو استطعنا أن نغض الطرف عن جميع الاعتبارات ،
وأن نرسل ما لدينا من الأتباع والفلاحين الزائدين على
الحاجة ، والذين تمتلىء بهم مربعاتنا[1] ، حيث يؤدون
أعمالاً تافهة . لكان فى هؤلاء ما يكفى
لتطهير هذا الميدان من مثل هذا العدو الحقير .
بينما نقف نحن فى سفح هذا الجبل القريب
للتأمل الهادى فيما يجرى .
لولا أن هذه الخطة مما يأباه شرفنا .
ما العمل إذن ؟ حسبنا أن نقوم بعمل قليل جدا ، ثم
يُقضى الأمر .
هلموا إذن ! ولينفخ فى الأبواق ،
ليرن صداها مدوياً فى الآفاق
فإن حملتنا ستملأ الميدان برعب يبلغ من شدته

---

(١) من التشكيلات العسكرية تكوين مربعات من الجنود أو الفرسان .

أن يجعل الإنجليز يخرون على وجوههم خائفين ،
ويبادرون بالتسليم .

(يدخل جرانبرى)

جرانبرى : لماذا أطلتم الانتظار يا سادة فرنسا ؟
إن تلك الرمم الإنجليزية يائسة من إنقاذ عظامها .
ولا يلائمها أن تنزل فى الصباح إلى ميدان القتال .
وقد رفعوا راياتهم البالية ، فأخذ هواؤنا يهزها باحتقار
وأن الروح الحربية فى جمعهم الفقير لمشرفة على الإفلاس .
ولا يبدو منها ، من ثقوب مغافرهم الصدئة سوى أثر ضئيل .
وقد جلس فرسانهم هامدين كأنهم ماثلات جامدة
بأيديها حطب الإشعال[1]
أما خيلهم البائسة ،
فقد تدلت رءوسها واسترخت جلودها وأكفالها .
والعماص يتساقط كالحبل باطراد من عيونها الشاحبة شحوب
الموت ،
ويبدو اللجام المزدوج فى أفواهها الشاحبة الهامدة قذراً ،

(١) الظاهر أن الشمعدانات كانت كثيراً ما تُصنع فى صورة إنسان توضع الشمعة فى رأسه ، والذراع مجوف يوضع فيه حطب الإشعال . فشبه جرانبرى الجندى الإنجليزى بالشمعدان الجامد وما يحمله من السلاح بحطب الإشعال .

بما علق به من العشب ، ساكناً لا يتحرك .
أما جلادوهم ، تلك الغربان الخبيثة[1]
فإنها تحوم من فوقهم جميعاً . تنتظر بفارغ الصبر ساعة الفتك بهم .
إن الوصف ليعجز أن يجد الكلمات الملائمة
لتصوير مثل هذه المعركة .
فى صورة حية ، مع قلة ما فيها من عناصر الحياة .

القائد : لقد قرأوا صلواتهم ، وهم الآن فى انتظار الموت

ولى العهد : هل ترسل لهم غذاء وفواكه طازجة
ولخيلهم الصائمة ما يلزمها من العلف ؟
ثم تحاربهم بعدئذ ؟

القائد : ما تأخرت إلا انتظاراً لحرسى . هلموا إلى الميدان ،
سأنتزع الراية من أحد النافخين فى الأبواق
وأستخدمها رغبة فى الإسراع .
هلموا هلموا بنا ! فقد ارتفعت الشمس
وسنبلى اليوم حرباً وجهاداً .

(يخرجون)

---

(١) تسمية الغراب بالجلاد فيها شيء من التجاوز لأنه لا يقتل الفريسة بل يلتهمها بعد قتلها .

المنظر الثالث

المعسكر الإنجليزى

يدخل جلوستر وبدفورد وأكستر وأربنجهام بجيشه ، سالزبورى وستمورلند .

جلوستر : أين الملك ؟

بدفورد : لقد ركب الملك بنفسه ليتفقد الجيش . جيش العدو

وستمورلند : إن لديهم من المقاتلة ستين ألفاً كاملة .

أكستر : خمسة لكل واحد منا ، وهم فوق ذلك موفورو القوة .

سالزبورى : فلتضرب معنا يد الله ! إنها لقسمة جائرة .
ليكن الله معكم أيها الأمراء ! إنى ذاهب لحملتى .
وإذا لم يُتح لنا لقاء ، حتى نلتقى فى السماء
إذن فاسعدوا جميعاً ، يا سيدى لورد بدفورد
ويا لورد جلوستر العزيز .
ويا لورد إكستر الكريم ،
وأنت يا صهرى وستمورلند . وداعاً أيها المحاربون جميعاً !

بدفورد : وداعاً يا سالزبورى الهمام . وليصاحبك السعد دائماً .

أكستر : وداعاً أيها اللورد الرحيم ، حارب ببسالة اليوم ،

وإن كان من الظلم تذكيرك بذلك .
لأنك مصنوع من معدن الشجاعة الصريح .

(يخرج سالزبورى)

بدنورد : إنه ممتلئ شجاعة ، كما امتلأ رحمة وشفقة .
أمير فى كلا الحالين

(يدخل الملك هنرى)

وستمورلند : ليت اليوم ها هنا
عشرة آلاف لا أكثر من أولئك الرجال ،
الذين يقيمون فى إنجلترا ولا يعملون الآن شيئاً !

الملك هنرى : من الذى ينطق بهذه الأمنية ؟ أهو ابن عمى وستمورلند ؟
كلا يا ابن العم العزيز ، لئن كان نصيبنا الموت ، إن فينا الكفاية .
وحسب بلادنا أن تفقدنا وحدنا
ولئن كتبت لنا الحياة ، ليكونن نصيبنا من الشرف أعظم بقدر قلة عددنا .
فلتكن إرادة الله ! وأرجوك ألا تتمنى أن نزداد رجلا آخر .
وأقسم أن ليس لى فى الذهب مطمع .
ولا أبالى أن ينال غيرى شهى الطعام على حسابى .
ولا يحزننى أن يلبس الناس حللى وأثوابى .

لأن هذه المظاهر ليس لها مكان فى رغائبى أو مآربى .
أما إن كان الطمع فى الشرف خطيئة من الخطايا .
فإن روحى أشد الأرواح ارتكاباً للإثم .
فلا بالله يا ابن العم لا تتمن أن يجىء رجل آخر من إنجلترا
فإنى وأيم الله لا أود أن أفقد ذلك الشرف العظيم ،
الذى سيناله هذا الفرد بمشاركته إياى .
وبذلك ينقص أكبر أمل أنشده . إذن لا تطلب شخصاً
آخر .
بل إنى لأوثر يا وستمورلند أن تعلن فى جيشنا :
أن من لم تكن له القدرة على خوض هذه الحرب
فليرحل الآن وسيعطى جواز السفر ،
وتوضع فى كيسه النقود اللازمة لرحلته .
فإن بنا رغبة عن الموت فى صحبة رجل
يخاف أن يكون رفيقاً لنا فى الموت .
إن هذا اليوم يدعى عيد كرسبيان[1]
فمن قدر له العيش بعد اليوم ، وعاد إلى الوطن سالماً ،

---

(١) أحد القديسين Saint Crispian وعيده يوم ٢٥ أكتوبر ، وعند النصارى يكاد كل يوم من السنة أن يكون عيداً لبعض أولئك القديسين. ومن أقوالهم الطريفة فى هذا أن لهم أعياداً أكثر من أيام التقويم They Have More Feasts than the days of the Calendair

استطاع أن يشرئب ، وأن يرفع رأسه حين يجيء ذكر هذا اليوم ،

وتنتعش نفسه حين يسمع اسم كرسبيان .

ومن شهد هذا اليوم ، ثم عاش إلى سن الشيخوخة

فسيظل فى كل عام يقظاً ، يقيم الولائم لجيرانه

ويقول لهم : « إن غداً عيد القديس كرسبيان »

ثم يشمر عن ذراعه ، ويريهم ندوبه ،

ويقول : « هذه جراح كسبتها يوم كرسبيان »

ولقد يعترى الرجال النسيان ، إذا تقدمت بهم السن .

لكنه إن ينس كل شىء ، فسيذكر — مع بعض الغلو المقبول —

ما أتاه فى ذلك اليوم من جليل الأعمال

ثم يأخذ فى سرد أسمائنا ، وهى تجرى على لسانه فى سهولة ويسر :

هنرى الملك ، بدفورد وأكستر ،

ورك وتالبوت ، وسالزبورى وجلوستر .

وهكذا يتجدد ذكر هذه الأسماء وسط الأقداح المترعة .

وسيروى كل رجل صالح هذه القصة لنجله ،

ولن يمر عيد كرسبيان ، منذ اليوم إلى نهاية العالم ،

حتى نذكر فيه ، نحن القلائل ،
نحن القلة السعيدة ، نحن العصابة المتآخية . .
فلعمرى أن من يسفك دمه اليوم معى فهو أخى .
ومهما كان وضيع النسب ،
فإن هذا اليوم سيرفع إلى مقام السادة .
أما السادة الراقدون اليوم فى فراشهم فى إنجلترا
فسيعدون أنفسهم من الملعونين ،
لأنهم لم يكونوا معنا .
وسيحسون أن رجولتهم رخيصة تافهة ،
عندما يتكلم واحد ممن حارب معنا فى يوم القديس كرسبيان.

(يدخل سالزبورى)

سالزبورى : مولاى الملك تأهب للحرب بسرعة ،
فالفرنسيون قد برزوا للحرب فى مظهر فخم .
وسرعان ما يشنون علينا الغارة .

الملك هنرى : إن كل شىء مهيأ ، إذا كانت عقولنا مهيأة .

وستمورلند : تعساً للرجل الذى يتراجع عقله الآن !

الملك هنرى : إذن لم تعد بك حاجة إلى مدد من إنجلترا يا ابن العم .

وستمورلند : وددت — علم الله يا مولاى — أن أكون وإياك وحدنا ،
بلا مدد ، لنقاتل معاً فى هذه الحرب الجليلة .

الملك هنرى : إنك بهذا تحرم خمسة آلاف[1]
وهذا على كل حال أفضل عندى من إمدادنا بواحد آخر
إنكم تعرفون مواقعكم ، والله معكم جميعاً !

(صوت بوق : يدخل مونجوى)

مونجوى : جئت مرة أخرى ، لأعرف منك أيها الملك هنرى ،
هل تريد الآن أن تتفق على فديتك ،
قبل أن تحل بك الهزيمة المؤكدة .
فإنك بلا شك دنوت من الهاوية ، ولا مفر لك من السقوط ،
والقائد الأعلى يسألك من قبيل الشفقة .
أن تذكّر أتباعك بالتوبة والإنابة .
حتى تستطيع أرواحهم أن ترتد
فى أمن وسلام عن هذه الميادين .
وإن لم يكن بد من أن يترك التعساء
أجسادهم فيها لترقد وتبلى .

الملك هنرى : من الذى أرسلك الآن ؟
مونجوى : القائد الأعلى لجيوش فرنسا .

---

(١) مبالغة أخرى من شكسبير . بعد أن أسرف فى تقدير عدد الجيش الفرنسى ، والحقيقة أن جيش الإنجليز فى آجنكور لم يكن يقل عن ١٥,٠٠٠ ولم يزد جيش فرنسا عن ضعف هذا العدد . فيهم كثير من المرتزقة .

الملك هنرى : أرجوك أن تحمل إليه ردى السابق ،
قل لهم أن يجهزوا علىّ أولاً ثم يبيعوا عظامى .
تباركت اللهم ! ما لهم يمعنون فى السخرية من الناس !
إن الرجل الذى باع جلد الأسد وهو لا يزال حيًّا ،
لقد لقى حتفه وهو يحاول صيده
إن الكثير من أجسامنا سيرقد يوماً فى تراب وطنه .
وسيحمل كل قبر نحاسة تشهد بما عمله فى هذا اليوم .
أما الذين يتركون عظامهم الباسلة فى أرض فرنسا ،
فسيموتون رجالاً ، وإن كانت قبورهم من قمامة بلادكم ،
وسينالون الشهرة والمجد ، إن الشمس ستطلع عليهم وتحييهم
وتجتذب أمجادهم وترفعها إلى السماء ،
تاركة أجزاءهم الفانية ، ليختنق بها هواؤكم .
ومن روائحها سيتولد الطاعون فى أرض فرنسا .
فانظر إلى هذه الشجاعة الفياضة فى رجالنا ،
مثلهم كمثل القنبلة الزاحفة[١] ،
بعد أن يلقوا مصرعهم ينبعث منهم سر جديد .
فيقتلون ويفتكون بعد أن لقوا حتفهم .

---

(١) بعد أن تسقط القنبلة تزحف وتقتل أثناء زحفها ولعل المقصود طراز خاص من القنابل .

دعنى إذن أتكلم مفاخراً ، قل للقائد الأعلى :
إننا قوم محاربون ، ويومنا يوم جد وعمل .
إن سيرنا الطويل الشاق فى المطر والطين قد لوّث ثيابنا .
وأخفى ما بها من زينة وقصب ،
ولم تبق فى جيشنا كله ريشة واحدة تزين أثوابنا[١]
وأرجو أن يكون هذا دليلاً قوياً على أننا لن نطير ،
لقد أكسبنا مر الزمن مظهراً زرياً .
ولكن قلوبنا جميعاً فيها بهجة وأناقة .
وقد قال لى جنودى المساكين إنه لن يأتى المساء ،
حتى يلبسوا ثياباً جديدة ، أو ينتزعوا الأردية البراقة الجديدة ،
من فوق رءوس الجنود الفرنسيين ،
ويخرجوهم من خدمة مولاهم[٢]
فإذا فعلوا ذلك — وسيفعلونه بإذن الله — فسرعان ما تجمع فديتى .
فيا أيها الرسول وفر على نفسك هذا العناء

---

(١) الريش اللى تزدان بها ثياب الأشراف ، وعلى الأخص القلنسوة ، ثم يتلاعب شكسبير بالألفاظ فى البيت التالى . ويقول إن الجيش لن يطير ، أى لن يهرب ما دام ريشه مفقوداً وكأنه يرد بهذا على قول القائد الفرنسى السابق .

(٢) كان السادة فى زمن شكسبير إذا طردوا خادماً نزعوا عنه كسوته التى تحمل شعارهم .

ولا تعد مرة أخرى تطلب الفداء ، أيها الرسول الرقيق ،
فإنى أقسم أنهم لن ينالوا شيئاً سوى جوارحى ،
وإن أخذوها ، وهى فى الحالة التى سأتركها عليها ،
فلن يصيبوا منها سوى مغنم تافه .
أبلغ هذا للقائد الأعلى .

مونجوى : سأفعل ذلك ، أيها الملك هنرى ، طاب وقتك .
ولن أحمل إليك رسالة أخرى بعد اليوم .

الملك هنرى : أخشى أنك ستحضر مرة أخرى من أجل فداء ،

(يدخل يورك)

يورك : إنى أركع بخضوع على ركبتى يا مولاى ،
وألتمس منك أن توليني قيادة الطليعة .

الملك هنرى : هى لك أيها الباسل يورك ، والآن أيها الجنود تقدموا !
واللهم صرف أمور هذا اليوم كما تشاء

(يخرجون)

* * *

المنظر الرابع

ميدان القتال

أصوات البوق — تحركات عسكرية — يدخل بستول وجندى فرنسى وغلام[1] .

بستول : سلم أيها الكلب !

الفرنسى : إنى أظنك من السادة ذوى المقام الرفيع .

بستول : رفيع أو مرفوع . هذا لا يهمنى . ولكن هل أنت من السادة ؟ وما اسمك ؟
تكلم !

الفرنسى : رحمتك اللهم : سنيور ديو ! (O Seigneur Dieu)

بستول : إذا كان اسمك سنيور ديو فأنت من السادة .
استمع لكلماتى إذن يا سنيور ديو . وتأمل يا سنيور ديو .
إنك ستموت بحد السيف ، اللهم إلا إذا دفعت لى ياسنيور فدية عظيمة .

---

(١) فى هذا المنظر يتكلم بستول الإنجليزية ولا يفهم كلمة فرنسية . والجندى الفرنسى يتكلم الفرنسية ولا يفهم الإنجليزية ، فيكون الحوار مختلطاً . وبعد قليل يطلب بستول من الغلام أن يتولى الترجمة بينهما ، وبديهى أن الترجمة لمثل هذا المنظر تتطلب بعض التصرف .

الفرنسى : كن رحيماً ولتأخذك الشفقة .

بستول : الشفقة ، وما تلك الشفقة ، التى آخذها أو تأخذنى ،
ليس هذا مطلبى . إنى أريد نقوداً
فإن لم تدفع انتزعت قلبك من صدرك وهو يقطر دماً .

الفرنسى : أمن المستحيل أن أنجو من سطوة ذراعك ؟

بستول : نحاس أيها الكلب[١] .
ويلك يا تيس الجبال اللعين السمين ،
أتعرض علىّ نحاساً ؟

الفرنسى : اصفح عنى

بستول : ما هذا الذى تقول ؟ أهذا مبلغ مناسب من المال ؟
تعال يا غلام ، سل هذا العبد بالفرنسية ما اسمه

الغلام : أنصت إلىّ . ما اسمك ؟

الفرنسى : مسيو لفير .

الغلام : يقول إن اسمه مستر فير .

بستول : مستر فير ، سواء عندى أكان فيراً أم فأراً فإنى سأقنصه
فوراً . ترجم له هذا بالفرنسية .

الغلام : ليس من السهل ترجمة هذا الكلام .

---

(١) يظن بستول أنه يقول النحاس ولهذا يغضب وكان حرف S الأخير لا يزال ينطق به فى اللغة الفرنسية .

: قل له يستعد لأنى سأقطع عنقه .

: ماذا يقول السيد ؟

: يأمرنى أن أقول لك أن تستعد لأن هذا الجندى يريد الآن وفى هذه الساعة أن يقطع رقبتك .

: أجل سأقطع العنق ، أيها الفلاح . ما لم تدفع لى كرونات ، وإلا قطعك سيفى هذا إرباً .

: أسترحمك بحق الله أن تعفو عنى فأنا سليل أسرة كريمة . احفظ حياتى ، أهبك مائتين من الكرونات .

: ماذا يقول ؟

: إنه من أسرة طيبة ويفتدى نفسه بمائتين من الكرونات.

: قل له إن غضبى سيتلاشى بالتدريج ؛
وسآخذ الكرونات .

: ماذا قال يا سيدى الصغير ؟

: إن العفو عن الأسير أيًّا كان يخالف المبدأ الذى أقسم عليه ، ومع ذلك فإنه سيصفح عنك ، ويطلق سراحك ، من أجل تلك الكرونات المائتين .

: إنى أقدم إليك راكعاً على ركبتى ، ألف حمد وشكر ،
وأعد نفسى سعيداً إذ وقعت فى يد فارس شهم همام ،
هو أكرم وأشجع وأرق سيد فى إنجلترا .

بستول : ترجم يا غلام .

الغلام : يشكرك ألف مرة وهو جاث على ركبتيه ويرى أنه سعيد إذ وقع فى يد سيد هو فى ظنه أشجع وأبسل وأكرم سيد فى إنجلترا .

بستول : على الرغم من أنى أمتص الدماء . فإنى سأظهر بعض الرأفة .
اتبعنى

الغلام : اتبع الضابط العظيم :

(يخرج بستول والجندى الفرنسى)

لم أعرف يوماً أن صوتاً ضخماً كهذا يخرج من قلب خال إلى هذا الحد ،
ولكن صدق الذى قال : « إن أفشل الأشياء أعلاها صوتاً ».
كان لباردولف ونيم من الشجاعة أضعاف ما لهذا الشيطان، العالى الصوت حتى لقد كان كلاهما لا يقلم أظافره إلا بمطرقة خشبية وقد قدر لكل منهما أن يموت شنقاً ، وسيكون الشنق نصيب هذا أيضاً ، إذا أقدم على سرقة ، على سبيل المغامرة.
لا بد لى أن أعود إلى الخدم ، لكى نحرس أمتعة المعسكر ، إن الفرنسيين قد يفترسوننا بسهولة لو علموا بذلك . فليس هناك من يحرسها سوى الغلمان .

المنظر الخامس

جزء آخر من الميدان

يدخل القائد الأعلى للجيوش الفرنسية ومعه أورليان وبوربون وولى العهد ورامبوريس .

القائد : يا للشيطان !

أورليان : رباه ! فقدنا معركة اليوم ! فقدنا كل شىء !

ولى العهد : الله ينقذنا . إن كل شىء مضطرب . . كل شىء .
إن العار والشنار يطلان علينا ساخرين منا .
يا لنكد الطالع ! لا تهربوا . . .

(يسمع نفخ قصير فى البوق)

القائد : لقد تحطمت جميع صفوفنا .

ولى العهد : يا له من عار أبدى . دعونا نطعن أنفسنا !
أهؤلاء هم التعساء الذين راهنا بالنرد عليهم ؟

أورليان : أهذا هو الملك الذى بعثنا إليه كى يفتدى نفسه ؟

بوربون : هذا هو العار ! العار الأبدى ، ولا شىء غير العار .
دعونا نمت فى دروعنا ، ولنعد إلى الميدان مرة أخرى
ومن لم يتبع بوربون الآن ، فليذهب من هنا

وليمسك قبعته بيده ، ويفتح بيده الباب
كما يفعل القوّاد الحقير حينما يعتدى على شرف أجمل بناته .
عبد زنيم ليس أرقى من أحد كلابى .

القائد : إن اختلال النظام الذى أودى بنا ، هو صديقنا الآن !
فلنذهب للتضحية بأنفسنا ، كتلا بغير نظام .

أورليان : لدينا من الأحياء فى الميدان ما فيه الكفاية
بحيث نستطيع بجموعنا أن نضيق الخناق على الإنجليز ؛
إذا أمكن توفير القليل من النظام .

بوربون : تعساً للنظام الآن وسحقاً ! إنى منطلق إلى المعمعة .
فليكن حبل العمر قصيراً ، وإلا كان العار طويلا .

(يخرجون)

المنظر السادس

مكان آخر من الميدان

نفخ فى البوق : يدخل الملك هنرى ، وحاشيته ومعهم أسرى ،
وأكستر وآخرون .

الملك هنرى : ما أحسن ما فعلنا : يا بنى الوطن البواسل .
ولكن لم يتم كل شىء ، فالفرنسيون ما زالوا فى الميدان .

أكستر : اللورد يورك يرفع لجلالتكم خالص التحية

الملك هنرى : ألم يزل حيًّا يا عماه ؟ لقد رأيته فى هذه الساعة ،
يهوى ثلاث مرات ، ثم ينهض مرات ثلاثاً ويحارب ،
والدم يكسوه من خوذته إلى مهمازه .

أكستر : فى هذا الرداء يرقد الآن ، جنديًّا باسلا ،
أكسب الأرض ثروة عظيمة .
وإلى جانبه المخضب بالدماء
يرقد أيضاً إيرل سفوك النبيل
قرينه فى الجراح التى تكسب الشرف والمجد ،
لقد مات سفوك أولاً ، فجاءه يورك
وهو منهوك محطم ، ورآه غارقاً فى دمه ،
فأمسك بلحيته ، وأخذ يقبل الجراح
التى يفيض الدم من فوهاتها على وجهه
وصاح به : « تمهل يا ابن عمى سفوك ! .
إن روحى ستصاحبك إلى السماء .
تمهل أيها الروح الطاهر ، حتى تلحق بك روحى ، ثم نطير معاً .
كما كنا معاً فى جهادنا ونضالنا . فى هذا الميدان المجيد ،

الذى أبلينا فيه أحسن البلاء » .
جئته وهو ينطق بهذه الكلمات ، فجعلت أطيب خاطره ،
فابتسم فى وجهى ومد يده إلىّ ،
وقال وهو يمسكنى بقبضة ضعيفة ،
« سيدى اللورد ، أبلغ تحياتى إلى مليكى ! »
ثم دار وألقى على عنق سفوك
ذراعه الجريح ، وقبل شفتيه .
وهكذا احتضن الموت وختم بالدم
على عهد الحب النبيل الغاية .
إن هذا المنظر العذب الجميل ،
قد أسال عبراتى على الرغم منى .
وقد كنت أود حبسها ، ولكن رجولتى لم تسعفنى .
وغلبتنى على عينى خصال أمى ،
ففاضت دموعى .

الملك هنرى : لست ألومك
فإن مجرد الاستماع جعلنى أغالب الدموع .
وإلا لفاضت هى أيضاً .

(صوت البوق)

ولكن أنصت ! ما هذا النفخ الجديد فى البوق ؟

لعل الفرنسيين جاءوا بإمداد لجيشهم الممزق ؟
إذن يجب على كل جندى أن يقتل أسراه !
أبلغ هذا الأمر إلى الجميع .

(يخرجون)

* * *

المنظر السابع

جزء آخر من الميدان

(يدخل فلولن وجور)

فلولن : أيقتلون الفتيان ، ويتلفون الأمتعة ؟ هذه مخالفة صريحة لقانون الحرب . إنها من أشنع ما يمكن تصوره من أعمال الدناءة واللؤم . بذمتك وضميرك ، أليس كذلك ؟

جور : من المؤكد أنه لم يبق فتى واحد على قيد الحياة . وقد ارتكب هذه المجزرة أولئك الرعاع الجبناء ، الذين فروا من المعركة ، هذا إلى أنهم قد أحرقوا ونهبوا كل ما كان فى خيمة الملك .

فلولن : أجل . فقد ولد فى مونموث[1] يا يوزباشى جور . ما اسم

---

(١) يفخر فلولن وهو من بلاد ويلز Wales ببلاده وببلدة مونموث ، وترجع عظمة هنرى إلى مولده فى تلك البلدة .

البلد الذى ولد فيه إسكندر العزيم[1] ؟

جورد : إسكندر الكبير

فلولن : لماذا ، أليس العزيم هو الكبير ؟ إن العزيم والكبير والجبار والفخم والجسيم كلها فى الحساب سواء ، مع تغيير يسير فى العبارة .

جورد : أكبر ظنى أن الإسكندر الكبير ولد فى مقدونيا . فأبوه يدعى فيليب المقدونى فيما أعلم .

فلولن : نعم ، أظن أن الإسكندر ولد فى مقدونيا . ولو أنك يا يوزباشى ، نظرت فى خرائط العالم ، فإنى واثق أنك ستجد بالمقارنة بين مونموث ومقدونيا أن موقعهما متشابه . فى مقدونيا نهر ، وهناك فوق ذلك نهر فى مونموث ، وهذا النهر يدعى واى فى مونموث . أما اسم النهر الآخر فقد طار من مخى . ولكن النهرين متشابهان ، كما تشبه أصابعى بعضها بعضاً . وكلاهما يحتوى سمك سومون . فإذا تأملت فى حياة الإسكندر جيداً ، وجدت حياة هنرى صاحب مونموث تضاهيها تماماً ، لأن بين الأشياء تطابقاً وتماثلا . وقد علم الله ، وأنت أيضاً تعلم ، فى أثناء غضبه وثوراته

---

(١) ينطق فلولن بالعبارات الإنجليزية مشوهة قليلا . وهذا يدعو شكسبير إلى التلاعب بالألفاظ ، وليس من الممكن نقل هذا التلاعب تماماً إلى العربية .

وسخطه وغيظه ونوباته وضجره واحتداده . ناهيك بأثر السكر فى عقله . لم يتورع تحت تأثير الخمر والغضب عن قتل أعز أصدقائه كليتس »[١] .

جور : إن ملكنا لا يشبهه فى هذا . فلم يقتل يوماً واحداً من أصدقائه .

فلولن : إنك لم تحسن صنعاً . وأنبهك لذلك . بأن انتزعت القصة من فمى . قبل أن أتمها وأختمها . فأنا لم أتكلم إلا عما هناك من وجوه التشابه والمقارنة . فكما أن الإسكندر قتل صديقه كليتس ، متأثراً بخمره وكأسه ، كذلك هنرى مونمث ، وهو فى تمام عقله وصوابه قد طرد ذلك الفارس السمين ، ذا الرداء الغليظ . الذى كان يكثر من المزاح والسخرية . ويرتكب ضروب الحماقات والمهازل ، لقد نسيت اسمه .

جور : سير جون فولستاف .

فلولن : هذا هو الرجل . قلت لك إن مونموث تنجب الرجال الصالحين .

---

(١) كان Cleitus قائداً وصديقاً حميماً للإسكندر ، قتله أثناء وليمة بعد تبادل عبارات جارحة ، وكلاهما فى حالة هياج بسبب الخمر ، وكان الإسكندر يفخر بنفسه وأنه أعظم من أبيه فيليب ، فيعارضه كليتس .

جور : هذا جلالته قد أقبل

(بوق : يدخل الملك هنرى وبوربون وأسرى آخرون ووريك وجلوستر واكستر وآخرون)

الملك هنرى : منذ جئت فرنسا لم أغضب إلا فى هذه اللحظة .
خذ بوقك أيها المنادى واركب
إلى أولئك الفرسان على ذلك الكثيب ،
فإن أرادوا محاربتنا فادعهم لينزلوا ،
وإلا فليخلوا الميدان .
إن منظرهم يؤذى عيوننا .
فإن لم يقبلوا كلا الأمرين سرنا إليهم
وقذفنا بهم بعيداً كأنهم الحجارة
يقذف بها من قلاع الأشوريين .
وفوق ذلك ، فإننا سنقطع أعناق جميع من لدينا ،
وما من أحد ممن يقعون فى أسرنا
سيذوق طعم الرحمة . اذهب فأبلغهم ذلك .

(يدخل مونجوى)

اكستر : هذا رسول الفرنسيين قد جاء يا مولاى .

جلوستر : إن عينيه أكثر انكساراً مما كانتا عليه من قبل

الملك هنرى : ما خطبك ، وما معنى هذا أيها الرسول
ألا تعلم أنى رهنت عظامى هذه من أجل الفدية ؟
وهل عدت مرة أخرى لتتسلم الفدية ؟
مونجوى : كلا أيها الملك العظيم . إنما قصدتك لتأذن بعمل من أعمال الخير :
بأن نطوف بأرجاء هذا الميدان المخضب بالدماء .
لكى نحصى قتلانا ، ثم ندفنهم ،
وأن نفرز نبلاءنا من عامتنا .
فإن كثيراً من أمرائنا — ويا للحسرة . !
غرقى فى دماء المرتزقة .
كذلك خاضت أقدام رعاعنا الخشنة فى دماء الأمراء .
وخيلهم الجريحة جعلت تغمس أقدامها فى النجيع ؛
ثم يتملكها الغضب فتضرب بحوافرها الصلبة
أصحابها القتلى ، فيُقتلون مرتين .
فائذن لنا أيها الملك العظيم أن نفحص الميدان فى أمان ،
ونفعل ما ينبغى لأجسامهم الميتة .
الملك هنرى : أصدق القول أيها الرسول . إنى لا أعرف بعد
أهذا اليوم لنا أم لا ؟ إن كثيراً من فرسانكم
ما برحوا يبرزون ويَعْدون فى الميدان .

مونجوى : اليوم يومكم .

الملك هنرى : الحمد لله على ذلك ، والفضل له لا لقوتنا .
ما اسم هذه القلعة القائمة بالقرب منا ؟

مونجوى : يدعونها آجنكور .

الملك هنرى : إذن سنطلق على معركتنا اسم موقعة آجنكور .
وتاريخها يوم القديس كرسبيان .

فلولن : إذا سمح لى مولاى أن أذكر ما طالعته فى السير ، فإن جدكم الجليل الذكر وعمكم الأكبر إدوارد أمير بلاد ويلز الأسود قد خاضا هنا فى فرنسا معركة عظيمة .

الملك هنرى : صدقت يا فلولن .

فلولن : بالصواب نطقتم يا مولاى . ولعل جلالتكم تذكرون أن رجالاً من أهل ويلز أبلوا يومئذ بلاءً حسناً . فى حقل ينمو فيه الكراث ، وقد علق كل منهم كراثة فى قلنسوته ، وهى من طراز مونموث . وجلالتكم تعلمون أن الكراثة لا تزال إلى الآن من شارات الشرف فى الخدمة العسكرية . وإنى واثق أن جلالتكم لا تجدون غضاضة فى أن تلبسوا شارة الكراث فى يوم القديس داود[1] .

---

(١) هو قديس بلاد ويلز ويومه الأول من مارس . وقبعة مونموث مستديرة عالية ، وليست لها حافة .

الملك هنرى : إنى ألبسها تذكاراً لشرف عظيم
فإنى كما تعلم من ويلز . أيها المواطن الصالح .

فلولن : إن كل مياه نهر ألواى لا تستطيع أن تغسل ما يجرى
في عروق جلالتكم من دم ويلز وأؤكد ذلك لجلالتكم ،
وأدعو الله أن يبارك ذلك الدم ويحفظه . ما وسعه ذلك
سبحانه جل جلاله .

الملك هنرى : شكراً لك يا ابن وطنى .

فلولن : أجل وحق المسيح . أنا ابن وطن جلالتكم ، ولا أبالى
من يعرف ذلك ، بل سأعلنه للناس جميعاً . وما بى حاجة
والحمد لله لأن أستحى من قرابتى من جلالتكم ، ما دمتم
جلالتكم رجلا أميناً .

(يدخل ويلز)

الملك هنرى : أسأل الله أن يجعلنى كذلك دائماً .
لتذهب رسلنا مع الرسول الفرنسى ،
وليأتونى بإحصاء دقيق عن القتلى من الفريقين ،
أحضروا ذلك الرجل

(يخرج الرسل ومونجوى)

أكستر : أيها الجندى تقدم بين يدى جلالة الملك .

الملك هنرى : لماذا أيها الجندى تلبس هذا القفاز فى قبعتك ؟

وليمز : عفوك يا مولاى ، إن هذا القفاز لرجل لابد لى أن أقاتله فوراً ، إن كان على قيد الحياة .

الملك هنرى : أمن الإنجليز هو ؟

وليمز : عفواً يا مولاى . إنه شخص ذميم . كان يتحدث إلىّ متبجحاً مساء أمس ، وإذا كان حيًّا ، وبلغت به الجرأة أن يتحدى هذا القفاز ، فقد أقسمت أن أصفعه على أذنه . وإذا بصرت قفازى فى قبعته ، وقد أقسم بشرف الجندى أن يلبسه إذا كان حيًّا ، بادرت بضربه بشدة .

الملك هنرى : ماذا ترى يا يوزباشى فلولن ، هل يجمل بهذا الجندى أن يبر بقسمه ؟

فلولن : لئن لم يفعل ، حفظ الله جلالتكم ، ليكونن نذلاً خسيساً . وهذا ما يمليه ضميرى .

الملك هنرى : ربما كان عدوه سيداً له مكانة عظيمة ، بحيث لايستطيع أن يقبل تحدياً من مثله .

فلولن : لو كان يضارع فى السيادة الشيطان أو إبليس وزعيم الشياطين نفسه ، فإن من الواجب أن يبر بنذره وقسمه ، تأملوا جلالتكم : إنه لو حنث لاشتهر بأنه شرير لئيم سافل ذميم ، مشى بنعله الأسود على أرض الله وأديم ثراه . أجل لعمرى !

الملك هنرى : إذن فأوف بعهدك يا رجل متى رأيت غريمك .

ويمز : سأفعل يا مولاى ما دمت حيًّا .

الملك هنرى : من قائدك الذى تحارب تحت رايته .

ويمز : تحت راية اليوزباشى جور يا مولاى .

فلولن : إن جور قائد عظيم واسع الاطلاع ، عليم بشئون الحرب

الملك هنرى : اذهب فأحضره أيها الجندى

ويمز : سمعاً وطاعة (يخرج)

الملك هنرى : أى فلولن ! البس هـــذا إكراماً لخاطرى . واجعله فى قبعتك . فقد انتزعت هذا القفاز من خوذة النسون عندما كنت أنا وهو فى صراع عنيف ، فإذا تحداك أحد من أجله فاعلم أنه من أصدقاء ألنسون ، ومن أعدائنا . فإذا قابلك أحد من هذا الطراز ، فألق القبض عليه إن كنت تحبنى .

فلولن : إن جلالتكم تولوننى أعظم شرف يمكن أن يتمناه أحد رعاياكم من صميم قلبه . إنى لأشتهى أن ألقى ذلك الرجل الذى ليس له سوى رجلين اثنتين ، ويسوءه منظر هذا القفاز . أجل إنى أود أن أراه مرة واحدة . والله يرعى جلالتكم إذ أتحتم لى هذه الفرصة .

الملك هنرى : هل تعرف جور ؟

فلولن : إنه صديقى الحميم يا مولاى .

الملك هنرى : أرجو أن تبحث عنه وتحضره إلى خيمتى[١] .

فلولن : سأحضره الساعة (يخرج)

الملك هنرى : يا لورد وريك . ويا أخى جلوستر !

اتبعا فلولن وتعقباه !
إن القفاز الذى أعطيته إياه ، تفضلاً منى ،
ربما جلب له صفعة على أذنه .
فهو قفاز الجندى وكان ينبغى لى
أن ألبسه أنا كما وعدت .
فاتبعه يا ابن عمى العزيز وريك ،
فإنى أخشى أن يضربه الجندى .
ويبدو من خشونة طبعه أنه سينفذ كلمته .
وقد ينجم عن ذلك شر مستطير .
وعهدى بفلولن أنه شهم جرىء
وإذا غضب تفجر كالبارود .
ويرد الإهانة بسرعة البرق

---

(١) وهكذا يحتال الملك لكى يلتقى وليمز وفلولن عند جوور . وهذه المداعبة تذكر بماضى هنرى وشبابه وما كان يحتوى من عبث .

اتبعه ، واجتهد حتى لا يستفحل بينهما الشر .
وابق فى صحبتى أيها العم أكستر .

(يخرجون)

* * *

المنظر الثامن

أمام سرادق الملك

(يدخل جور ووليمز)

وليمز : أؤكد أنه يريد أن يمنحكم رتبة الفروسية

(يدخل فلولن)

فلولن : حباك الله ورعاك أيها اليوزباشى . أرجوك أن تحضر بسرعة إلى جلالة الملك .
ربما كان هناك من الخير لك أكثر مما تحلم به .

وليمز : أتعرف أيها السيد ما هذا القفاز ؟

فلولن : هل أعرف القفاز ؟ إنى أعرف أن القفاز ما هو إلا قفاز .

وليمز : وأنا أعلم هذا أيضاً . وأتحدى صاحبه كذلك !

(يضربه)

فلولن : ويلك ، إنك لأحط خائن فى إنجلترا وفرنسا وفى العالم كله .

جور : ما هذا ! يا لك من لئيم .

ويمز : أتريد أن أحنث بقسمى ؟

فلولن : قف بعيداً يا يوزباشى جور ، سأدفع للخائن أجره ضرباً ولكماً : وأؤكد لك .

ويمز : لست خائناً .

فلولن : هذه كذبة جيش ، وإنى أتهمك باسم جلالة الملك . اقبض عليه فإنه من أصدقاء دوق ألنسون .

(يدخل وريك وجلوستر)

وريك : ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟

فلولن : سيدى اللورد وريك ! لقد تكشفت لنا ، والحمد لله على ذلك ، خيانة من البشاعة بمكان ، ظهرت كأنها فى وضح النهار . لقد جاء جلالة الملك .

(يدخل الملك هنرى وأكستر)

الملك هنرى : ما الخطب ، وماذا حدث ؟

فلولن : مولاى . ها هنا وغد خائن . فتأملوا جلالتكم ، إنه قد ضرب القفاز الذى انتزعتموه من قبعة دوق ألنسون .

ويمز : مولاى . . هذا قفازى . وهذا نظيره معى ، والذى أعطيته

إياه مبادلة ، وعدنى أن يعلقه فى قبعته ، فوعدته أن أضربه إذا فعل . . وقابلت هذا الرجل وقفازى فى قبعته ، فوفيت بوعدى .

فلولن : لقـــد سمعتم يا صاحب الجلالة الآن . كرمكم الله ، أى وغد حقير دنىء لئيم هذا . وإنى أرجوأن تكونوا ، جلالتكم ، حجتى وشاهدى ، فتقرروا بأن هذا هو قفاز آلنسون الذى سلمتنى إياه ، أليس هذا هو الحق ؟

الملك هنرى : أعطنى قفازك أيها الجندى . انظر هذا نظيره معى . إنى أنا الذى وعدت أن تضربه .
ولقد وجهت إلىّ عبارات قاسية مريرة .

فلولن : لتسمح جلالتكم بأن يدفع برقبته ثمن خيانته .
إذا كان فى العالم أى قانون عسكرى .

الملك هنرى : ماذا تستطيع أن تقدم لى من الترضية ؟

ويلز : إن الإثم يا مولاى إنمـــا يصدر من القلب . ولم يكن قلبى يوماً ليأثم فى حق جلالتكم .

الملك هنرى : إن إهانتك كانت موجهة إلىّ شخصياً .

ويلز : إن جلالـــتكم لم تحضروا فى صورتكم المألوفة ، بل ظهرتم لى كشخص من العامة. إنى ألتمس منكم أن تذكروا ما لظلام الليل ، والملابس المزرية ، والمظهر المتواضع ، من أثر

في تغيير شكل جلالتكم . وأرجوكم يا مولاى أن تعتبروا أن الذنب ليس ذنبي بل ذنبكم أنتم . فلئن كنتم أنتم الشخص الذى تصورته ، فإنى لم أقترف إذن إثماً . لهذا ألتمس من سموكم الرحمة والمغفرة .

الملك هنرى : هلموا يا عمى أكستر ، واملأ هذا القفاز بالكرونات .
وأعطه لهذا الفتى . وعليك أيها الرجل أن تحتفظ بهذا القفاز .
وأن تلبسه ، شرفاً لك ، فى قبعتك ،
حتى أتحداك بشأنه . أعطه الكرونات .
وأنت أيها اليوزباشى يجب أن تصادقه .

فلولن : أقسم بهذا النهار وهذا الليل أن فى بطن هذا الفتى من الشهامة القدر الكافى . إليك هذه البنسات الاثنى عشر ، وإنى أرجو أن تعبد الله ، وتتجنب العراك والمنازعات والمشاكسات والاضطرابات دائماً . وأنا الضمين بأن هذا سيكون فى مصلحتك .

وليمز : لا أريد أن آخذ من مالك شيئاً .

فلولن : إنى قدمتها بنية طيبة . وستفيدك فى إصلاح نعليك . ولا داعى لأن تخجل من هذا . إن نعليك ليسا فى حالة جيدة ، وهذا شلن جيد ، وإلا أبدلتك به غيره .

(يدخل رسول إنجليزى)

الملك هنرى : والآن أيها الرسول ، هل أحصيتم الموتى ؟

الرسول : هذا عدد صرعى الفرنسيين (يقدم ورقة)

الملك هنرى : من الذين أسرناهم من ذوى المقام الرفيع يا عماه ؟

أكستر : شارل دوق أورليان ، ابن أخى الملك .
وجون دوق بوربون . ولورد بوسيكوا .
وعدا هؤلاء أسرنا ألفاً وخمسمائة
من اللوردات والبارونات والفرسان والأشراف
هذا خلاف العامة .

الملك هنرى : هذه الوثيقة تنبئنا أن عشرة آلاف من الفرنسيين
وقعوا صرعى فى الميدان .
منهم مائة وستة وعشرون من النبلاء لابسى الدروع .
أضف إليهم ثمانية آلاف وأربعمائة
من الفرسان والأشراف والسادة الشجعان .
منهم خمسمائة منحوا لقب الفروسية أمس فقط .
وهكذا لا يكون فى هؤلاء العشرة الآلاف
الذين فقدوهم سوى ألف وستمائة من المرتزقة
أما سائرهم فمن الأمراء والبارونات واللوردات والفرسان والأشراف .
كلهم سادة وذوو حسب ومقام رفيع .

وهذه أسماء نبلائهم الذين سقطوا قتلى .
شارل دى لابرت : القائد الأعلى لجيوش فرنسا
جاك ده شاتليون ، أمير البحرية الفرنسية
قائد فرقة القناصة لورد رامبور
القائد الفرنسي الكبير : سير جيشار دوفان الباسل .
جون ، دوق ألنسون ، وأنطونى دوق برابنت ،
شمبق دوق برجندى . إدوارد دوق بار ،
ومن رتبة إيرل جرانبرى وروس وفولكنبردج وفوكس .
وومونت ومارل وفودمونت ولسترال .
هذه زمالة ملكية سارت معاً إلى الموت .
وأين عدد قتلانا من الإنجليز ؟

(يقدم له الرسول ورقة أخرى)

إدوارد دوق يورك ، وإيرل أوف سفولك .
وسير رتشرد كتلى . والسيد ديفى جام
وليس هناك سواهم من ذوى الألقاب .
ومن سائر الرتب خمسة وعشرون .
رباه إن يدك كانت معنا . ونحن لا نعزو شيئاً لأنفسنا ،
بل إلى عونكم نعزو كل شيء .
وإلا فمتى سمع فى الدهر أن حدثت خسارة

بهذه الضخامة وبهذه القلة ،
لأحد الفريقين وللآخر ،
دون أن تكون هنالك خدعة ،
بل الهجوم المألوف ، والقتال المعتاد ؟
هذا النصر أقدمه إليك يا رب ، فهو لك لا لأحد سواك

اكستر : إن هذا ضرب من المعجزات .

الملك هنرى : هلم بنا ، ولنذهب فى موكب إلى القرية .
اعلنوا فى الجيش أن الموت جزاء من يفخر
أو يخص بالمدح أحداً غير الله سبحانه وتعالى .
فالحمد له وحده .

فلولن : عفواً يا مولاى ، أليس من المباح أن نعلن عدد القتلى ؟

الملك هنرى : بلى أيها اليوزباشى ، بشرط الاعتراف
بأن الله تولى الحرب عنا .

فلولن : أجل لعمرى لقد أولانا فضلاً عظيماً .

الملك هنرى : لنقم بأداء الشعائر المقدسة ؛
ولننشد الترانيم والصلوات .
وليدفن القتلى طبقاً لطقوس الدين
وبعد ذلك فلنذهب إلى كاليه ، وبعدها إلى إنجلترا .
ولم يسبق أن عاد من فرنسا رجال أسعد منا

(يخرجون)

الفصل الخامس

يدخل المعقب

اسمحوا للذين لم يقرأوا القصة أن نوضحها لهم .
أما الذين طالعوها ، فنلتمس منهم المعذرة على تقصيرنا .
فى تصوير الزمن والإعداد ، ومجرى الأحداث الجليلة .
فهى فى صورتها الحية ، أجل وأعظم من أن نمثلها هنا[1]
والآن سوف نسير بالملك إلى كاليه ، ونغادره هناك
فاحملوه أنتم من هناك على أجنحة خيالكم عبر البحر .
وتأملوا كيف تحف بأمواج الشاطئ

---

(١) يضرب المعقب على نفس النغمة التى سبق له التغنى بها منذ الفاتحة ، من عجز لتمثيل عن تصوير الحقائق ، ويلتمس من النظارة أن يتخيلوا الحقيقة بقوة تفكيرهم . ولا بد من التنبيه إلى أن حوادث هذا الفصل كما يسردها المعقب التى تنتهى بمعاهدة الصلح لم تتم إلا فى عام ١٤٢٠ ، بعد معركة آجنكور بخمس سنوات . وفى الفترة بين المعركة التى سبق ذكرها فى الفصل الرابع ، وبين المعاهدة التى يجىء ذكرها فى هذا الفصل وهى معاهدة تروى Troyes عاد هنرى إلى كاليه واجتاز المانش وعاد إلى دوفر ثم لندن . وتوسط فى الصلح الإمبراطور سجسمند . كل هذا يذكره المعقب ، ولكنه لا يشير إلى الحملة الثانية على فرنسا التى بدأت فى أغسطس ١٤١٧ : ولعل شكسبير فضل أن يغفل ذكرها لتعقيد القصة وهكذا نرى أن الفصل الخامس لا يشتمل إلا على منظرين ، الأول حدث فى فرنسا بعد معركة آجنكور ، والثانى فى قصر ملك فرنسا لعقد معاهدة الصلح عام ١٤٢٠ .

مجموعة مرصوصة من الرجال والنساء والبنين .
قد علا صياحهم وهتافهم حتّى ارتفع
فوق دوى البحر الزاخر .
والموج يسعى بين يدى الملك ، كأنما يفسح له الطريق .
فدعوه ينزل إلى البر ، وتصوروه
وهو يجد السير فى وقار نحو لندن ،
بحيث تستطيعون أن تتخيلوا أنه وصل الآن إلى بلاكهيث [١]
وقد رغب إليه نبلاؤه أن يسمح
بأن تحمل أمامه خوذته المحطمة ، وسيفه المعوج ،
فى الموكب الذى يخترق المدينة ، فأبى عليهم ذلك ،
ذلك أنه برىء من الغرور والكبرياء والأنانية
وحريص على أن تحول جميع مظاهر النصر
والفخر والابتهاج عن نفسه .
ويقصد بها وجه الله سبحانه وتعالى .
ومع ذلك انظروا واستعينوا بتوقد ذهنكم لتتصوروا .
كيف أخرجت لندن جميع سكانها ،
وفيهم العمدة وصحبه فى أحسن مظاهر .
كأنهم شيوخ روما القديمة ،

(١) من ضواحى لندن .

ومن خلفهم جموع الشعب المتكدسة .
وقد تقدموا جميعاً لكى يرحبوا بعودة الفاتح قيصر .
ومثل هذا قد يحدث – باحتمال أقل –
وإن كان محبوباً لنفوسنا –
عندما يعود من إيرلندة
قائد إمبراطوريتنا العظيمة[١] ، بعد فترة من الزمن ،
وقد أمكنه أن يطعن الفتنة طعنة نجلاء .
فكم من سكان هذه المدينة الهادئة ، سيغادرها للترحيب به ؟
إن الذين رحبوا بهنرى كانوا أكثر عدداً ولديهم سبب أكبر .
والآن فلنتصوره وهو فى لندن وعليه أن يبقى بإنجلترا ،
والفرنسيون منهمكون فى ندب حظهم .
ثم يجىء الإمبراطور من طرف فرنسا ، متوسطاً فى الصلح بينهما .
ولا حاجة إلى ذكر مختلف الحوادث ، التى جرت بعد ذلك .

---

(١) فى هذا السطر وما بعده إشارة إلى حادث جرى فى زمن شكسبير (١٥٩٩) وقد ذهب لورد اسكس يخمد فتنة فى إيرلندة ، وعاد منها بعد ستة أشهر بالخيبة والفشل . ولعل هذا سر يحتفظ شكسبير فى عبارة أما الإمبراطورة المشار إليها فهى اليزابث. والشراح يجدون فى هذه الفترة دليلا على أن شكسبير أتم هذه المسرحية فى تلك السنة .

حتّى عودة هنرى إلى فرنسا ، ولابد لنا أن نصحبه إلى هناك .

وقد سردت عليكم ما جرى بين سفره من فرنسا وعودته إليها حتّى تتذكروه فاغتفروا ما اختصرناه ، وانتقلوا بأبصاركم ، بعد أن انتقلتم بأذهانكم إلى فرنسا مرة أخرى

(يخرج)

* * *

المنظر الأول

فرنسا والمعسكر الإنجليزى

يدخل فلولن وجور .

جور : كلا . إن هذا هو الصواب . ولكن لماذا تلبس كرافتك اليوم ؟ إن يوم القديس داود مضى منذ زمان .

فلولن : هنالك ظروف وأسباب لكل عمل ولكل شىء ، وسأخبرك بوصفك صديقى يا يوزباشى جور ، إن ذلك الوغد الدنىء ، القذر الحقير ، المنحط الكذاب ، بستول ، الذى تعرف — كما يعرف العالم كله — أنه شخص لا قيمة له ، جاءنى أمس وأحضر لى معه خبزاً وملحاً ؛ وطلب إلىّ أن آكل كراثى . حدث هذا فى مكان لا أستطيع

أن أجادله فيه وأخاصمه ، ولكنى رأيت أن ألبسها فى قبعتى حتى أراه مرة أخرى ، وعند ذلك سأخبره ببعض ما أضمره نحوه .

يدخل بستول

جور : ها هو ذا قد أقبل يختال كأنه ديك رومى .

فلولن : لن يجديه هذا الانتفاخ والتضخم على صورة الديكة الرومية . . . رعاك الله يا حامل العلم بستول ، أيها الوغد الدنس القذر ، رعاك الله .

بستول : هل أنت معتوه ؟ هل بك ظمأ إلى الموت أيها الوضيع ؟ فتضطرنى لأن أقطع حبل حياتك ، الذى تنسجه آلهات القدر[1]

ابتعد عنى ، فإن نفسى تعاف رائحة الكراث

فلولن : إنى أرجوك من صميم قلبى ، أيها الوغد القذر الدنس . كما أسألك وألتمس منك وأستعطفك أن تأكل هذه الكراثة . تدبر هذا الأمر ، إنك لا تحبها ، وهى لا تلائم رغباتك ولا شهيتك ، ولا مقدرتك على الهضم ، وأنا أريد منك أن تأكلها .

---

(١) من أساطير اليونان أن ثلاث آلهات تدعى Parcae تنسج لكل شخص عمره . فإذا أتمت النسيج قطعت الحبل فيموت .

بستول : كلا ولو دفعت لى نظير ذلك ، ملككم كادوالادر[1] ، ومعزاه

فلولن : خذ منى إذن هذه المعزى (يضربه) هل لك أن تتكرم أيها الوغد السافل فتأكل الكراثة ؟

بستول : أيها الوضيع المنحط من أهل طروادة . إنك ستموت .

فلولن : ما قلته صواب ، أيها الوغد ، وذلك رهن بإرادة الله . ولكنى أريد أن تبقى على قيد الحياة . وأن تأكل زادك . هلم إذن . ودونك هذا إداماً للكراثة (يضربه) . لقد دعوتنى بالأمس سيداً من سادة الجبال[2] ، واليوم سأجعلك فى أحط مراتب السادة . أرجوك أن تذعن ، فإنك إذا استطعت أن تسخر من الكراثة ، أمكنك أيضاً أن تأكلها .

جرر : حسبك أيها اليوزباشي . فإنك قد أخضعته

فلولن : لابد لى أن أجعله يأكل جزءاً من كراثتى أو ضربت ناصيته أربعة أيام كاملة . كل . أرجوك . إنه يبرئك من جراحك الدامية ، ومن غرورك وسخفك .

بستول : ألا بد من الأكل ؟

---

(١) Cadwallader آخر ملوك بريطانيا قبل عصر السكسونيين . والإشارة إلى المعزى نوع من الإهانة لسكان بلاد ويلز الذين ناصروا ذلك الملك .

(٢) أى من بلاد حقيرة .

فلولن : أجل ويقيناً وبلا شك ، ولا جدال ولا إبهام .

بستول : أقسم بهذه الكراثة إنى سأنتقم انتقاماً مريعاً
سآكل وآكل ، وأقسم ...

فلولن : كل أرجوك ، أتريد مقداراً آخر من الإدام لكراثتك .
ليس فى الكراثة ما يكفى لأن تقسم به ،

بستول : دع الهراوة جانباً . إنك ترى أنى آكل .

فلولن : ستفيدك فائدة عظيمة . أيها الوغد الذميم .
كلا . أرجوك ألا ترمى منها شيئاً ، فإن جلدها فيه شفاء من
غرورك المحطم . وإذا أبصرت كراثاً بعد اليوم ، فإنى
أرجوك أن تسخر منه . هذا كل ما أبغى .

بستول : هذا حسن .

فلولن : أجل إن الكراث حسن جداً ، وهاك درهم تعالج به
رأسك

بستول : أنا آخذ درهمك !

فلولن : أجل ، وحقاً ويقيناً ، ستأخذ الدرهم ، وإلا فإن فى
جيبى كراثة أخرى سأضطرك إلى أكلها .

بستول : آخذ الدرهم ، إيذاناً بالانتقام .

فلولن : إن كنت مديناً لك بشىء ، فإنى سأوفى الدين بالعصا
الغليظة . إنك ستكون من تجار الخشب ، ولن تشترى منى

غير العصى الغليظة . الله معك . ويحفظك ويشفى رأسك !

(يخرج)

بستول : إن الجحيم سيثور كله من أجل هذا .

جور : اذهب لحالك . فما أنت إلا وغد منافق جبان . أتريد أن نسخر من بعض التقاليد القديمة ، التى نشأت فى مناسبة شريفة . وكان لبسها رمزاً تذكاريا لعمل من أعمال الشجاعة المجيدة ، ثم لا تريد أن تُكفّر بأعمالك عن كلماتك ؟ لقد رأيتك مرة أو مرتين تهزأ وتسخر من هذا السيد ، ولقد خُيّل إليك أنه إذا كان لايستطيع أن يتكلم الإنجليزية فى صورتها الوطنية ، فإنه لن يستطيع استعمال الهراوة الإنجليزية . وقد وجدت الأمر عكس ما توهمت . فليكن هذا العقاب من يد أحد أبناء ويلز ، معلماً لك أن تتأدب بأدب الإنجليز ، وداعاً . . .

(يخرج)

بستول : هل الحظ يعبث بى اليوم كالمرأة اللعوب .
قد نبئت الآن أن عروسى ماتت
فى مستشفى بالمرض الإفرنجى .
وهكذا فقدت الملجأ ، وانقطعت بينى وبينه الأسباب .
وتقدمت بى السن . وقد ضربت على رجلى المجهدتين ،

حتى زايلنى الشرف سأنقلب قوّاداً ، مع ميل إلى السرقة
والنشل ،
فلأمض إلى إنجلترا خلسة . وهناك أعيش بالاختلاس ،
وسأضع الضمادات على جروح الضرب الذى ضربته ،
ثم أقسم إنها جراح من حرب فرنسا .

(يخرج)

* * *

المنظر الثانى

بلدة تروى فى مقاطعة شمبانيا

حجرة فى قصر ملك فرنسا

(يدخل من أحد الأبواب الملك هنرى واكستر وبدفورد وجلوستر ووريك وسمورلند . ولوردات آخرون . ومن الباب الآخر ملك فرنسا ، والملكة إيزابيل والأميرة كاترين وأليس ، وسيدات أخريات . ودوق برجندى وحاشية .

الملك هنرى : السلام على مجتمعنا هذا ، فمن أجل السلام اجتمعنا !
وإلى أخى ملك فرنسا وإلى أختنا
أحسن الصحة وأسعد الأيام
والسرور والأمانى الطيبة لابنة عمنا

الأميرة كاترينا ، بارعة الحسن .
وأحييك يا فرع هذه الدوحة ، وعضواً من أعضائها ،
يا دوق برجندى . يا من بذلت جهدك ليعقد هذا الاجتماع .
ولكم التحية جميعاً .
يا قوّاد فرنسا ونبلاءها .

ملك فرنسا : إنا لسعداء جدًّا برؤية محياك
يا أخى الرفيع القدر ملك إنجلترا
لقد نعمنا بلقياك ، وكذلك أحييكم يا أمراء إنجلترا جميعاً .

الملكة إيزابل : فلتكن عاقبة هذا اليوم ، وهذا الاجتماع الكريم ،
سعيدة كل السعادة يا أخى يا ملك إنجلترا .
إنه ليسرنا أن نرى عيونكم الآن ،
تلك العيون التى كانت إلى اليوم تحمل للفرنسيين ،
الذين تعرضوا لنظراتها الحادة ،
قذائف النيران الفتاكة ،
وأملنا عظيم أن ما كانت تحمله تلك النظرات من السم
قد فقد مفعوله ، وأن هذا اليوم
سيحيل أحزاننا وخصوماتنا إلى محبة .

الملك هنرى : ما جئنا اليوم إلا لنقول آمين ، لكل هذا .

الملكة إيزابل : وأنتم أيها الأمراء الإنجليز ! أحييكم جميعاً .

برجندى : إن واجبى نحوكما جميعاً سواء ؛
يا ملكى فرنسا وإنجلترا العظيمين !
ويستند إلى حب سواء لكما .
وأصحاب العظمة من كلا الفريقين يشهدون
كيف قمت بكل ما وسعنى من تدبير ومشقة وجهد ؛
كى أجمع بينكما يا صاحبى الجلالة الإمبراطورية ،
لتعقدا هذا الاجتماع الملكى فى محفل عدل وإنصاف[1]
وقد نجحت جهودى إلى الآن فى أن اجتمعتما وجهاً لوجه ،
وأخذتما تتبادلان النظرات والتحيات الملكية ،
فليس على جناح بعد ذلك أن سألت فى هذه الحضرة
الملكية عما قد يكون هناك من عائق أو عقبة
تحول بين شجرة السلم العارية ، الذاوية المهينة .
وهى التى تغذى الفنون وتبعث الرخاء وتسعد الطفولة .
وبين النمو والازدهار فى أرض فرنسا الخصبة ،
أجمل حدائق الأرض طرًّا ؟
إنها وا أسفاه قد طوردت من فرنسا زمناً طويلا .

---

(١) كان دوق برجندى السابق فى صف فرنسا وفى عام ١٤١٩ قتل هذا الدوق بدسيسة دبرها ولى العهد وتولى الدوقية بعده ابنه فيليب وهو المتكلم الآن فلم يلبث أن تحول من تأييد فرنسا . وإليه يرجع الفضل فى تدبير الصلح وعقد معاهدة تروى.

وتراكم شجرها بعضه فوق بعض ،
فأدركه العفن وسط الخصوبة .
لقد أُهمل كرمُها الذى طالما ملأ القلوب سروراً
حتى أدركه العطب والسياج المهذب المشذب ،
نمت عليه أغصان بلا نظام
كأنها سجناء نما شعرهم بغير نظام .
وفى الأرض التى لم تُزرع نمت وتأصلت أعشاب غريبة
من زوان وشوكران وقطمور زنخ
وقد صدئت السكين التى كان ينبغى
أن تستأصل هذا النبت الوحشى .
والمرعى السهل الذى كان من قبل يخرج من النبات الطيب
البرسيم الأخضر ، وفم البقرة الأرقط والسعدان
أصبح الآن ، بعد أن أهمل ولم تحصده المناجل ،
وتكاثر نبته الوحشى بسبب التراخى والإهمال ،
لا تنمو فيه إلا الأعشاب الكريهة :
مثل العوسج والصبار والقتاد
وهكذا ضاع منه جمال المنظر والفائدة .
وكما أن كرومنا وحقولنا ومراعينا وأحراجنا
فقدت مزاياها وتحولت إلى الحالة الوحشية

فكذلك أتباعنا وأنفسنا وأطفالنا .
كلنا فقدنا تلك المعارف والعلوم التى يرتقى بها وطننا ،
أو لم نجد الوقت اللازم لتعلمها .
فأخذنا ننمو ونكبر كالمتوحشين . أو كالجنود ،
الذين لا هم لهم سوى التفكير فى سفك الدماء
والإكثار من السب واللعن والعبوس . والملبس الزرى .
وكل شىء يبدو مخالفاً للطبيعة
وقد اجتمعتم اليوم لكى تردوا كل شىء
إلى ما كان عليه قبل .
وخطابى هذا التماس
أتوجه به لكى أعرف ما العقبة
التى تمنع السلام الجميل
من أن يطرد تلك الشرور
ويعيد إلينا ما كنا نفعم به من قبل .

الملك هنرى : إن أردت يا دوق برجندى ، أن يرجع السلم
الذى كان فقدانه سبباً فى نمو تلك الشرور التى ذكرتها ،
فلابد أن يشترى هذا السلم
بالقبول التام لمطالبنا العادلة .
التى تجد فحواها وشروطها مدرجة

في الوثيقة التي في يدك

برجندى : لقد استمع الملك إلى هذه النصوص
ولكنه لم يجب عنها بعد .

الملك هنرى : إذن فإن السلم الذى كنت تحض عليه من قبل رهن
بجوابه .

ملك فرنسا : لم ألق سوى نظرة سريعة على تلك البنود .
فليتفضل صاحب الجلالة بتعيين عدد من مستشاريه الآن ،
لكي يعقدوا معنا جلسة أخرى ،
لكي نعيد دراستها بعناية أكبر ،
ثم نبادر بإصدار ردنا ،
الذى نقره ونقبله نهائياً .

الملك هنرى : سنلبي طلبك يا أخي : أيهـا العم أكستر ويا أخي
كلارنس ، وأنتم أيها الإخوة جلوستر
ووريك وهنتنجتن . اذهبوا مع الملك .
ولتكن لكم السلطة التامة للموافقة والتصديق .
وأن تصيغوا أو تعدلوا ، حسب ما تراه حكمتكم
أجدر بكرامتنا ،
أى نص أو بند سواء ورد في شروطنا أو لم يرد .
وسنوافق على ما يستقر عليه رأيكم

وأنت أيتها الأخت العزيزة
أتذهبين مع الأمراء أم تبقين معنا ؟

الملكة إيزابل : أيها الأخ الكريم . إنى ذاهبة معهم
فلعل فى صوت المرأة ما يفيد
عندما يصر الطرفان فى جدالهما على أمور غير ذات خطر .

الملك هنرى : إذن ، ائذنى لابنة عمنا كاترين بأن تبقى معنا
لأنها هى مطلبنا الأعظم ،
المنصوص عليه فى المكانة الأولى من بنودنا .

الملكة إيزابل : لقد أذنا لها

(يخرج الجميع عدا الملك هنرى وكاترين أليس)

الملك هنرى : أى كاترين الجميلة ، بل البارعة الجمال .
هل تتفضلين بتعليم رجل محارب عبارات ،
من شأنها أن تدخل أذن سيدة جميلة ؟

كاترين : إن جلالتكم ستسخرون منى لأنى لا أستطيع أن أتكلم
اللغة الإنجليزية كما تتكلم بها . . .

الملك هنرى : أيتها الحسناء كاترين ، لئن أحببتنى حبًا صحيحاً بقلبك
الفرنسى ؛ فإنى ليسعدنى أن أسمعك تعبرين عن ذلك بلغة
إنجليزية غير صحيحة . أتحبيننى يا كيتى ؟

كاترين : عفواً ! لم أفهم معنى هذه العبارة[١] .

الملك هنرى : إن الملاك يشبهك يا كيتى . وأنت تشبهين الملاك .

كاترين : ماذا يقول : هل زعم أنى أشبه ملاكاً ؟

أليس : أجل يا صاحبة السحر ، هذا هو ما قاله . . .

الملك هنرى : نعم هذا ما قلته يا كاترين العزيزة ولست أخجل من توكيد ما ذكرت .

كاترين : رباه ! إن ألسنة الرجال ملآى بعبارات الخداع .

الملك هنرى : ما الذى قالته المليحة ؟ إن ألسنة الرجال ملآى بعبارات الخداع ؟

أليس : نعم . قالت إن ألسنة الرجال ملآى بالخداع . هذا ما قالته الأميرة .

الملك هنرى : إن الأميرة كأحسن الإنجليزيات إذ تنفر من الملق . ولعمرى يا كيت إن عبارات الحب التى أنطق بها لن تكون عسيرة على فهمك. ويسرنى أنك لا تعرفين الإنجليزية أكثر مما تعرفين ، وإلا لوجدت أنى ملك بلغ من البساطة بحيث يخيل إليك أنى قروى باع حقله ليشترى به تاجاً .

---

(١) لا تزال كاترين برغم الدروس بطيئة فى فهم اللغة الإنجليزية ، لذلك يتكرر السؤال والتفسيرات وبديهى أن هذا لن يكون واضحاً فى الترجمة ، التى تكتب كلها باللغة العربية ، بينما الأميرة تتكلم باللغة الفرنسية تارة أو بالإنجليزية المكسرة تارة أخرى .

إنى لا أعرف أساليب وعبارات أمزجها بحبى ، بل أقول بصراحة :
« إنى أحبك » فإذا استفزنى منك رد أكثر من عبارة : « أصحيح ما تزعم » ؟ بدا عجزى ولم أحر كلاماً . إذن امنحينى الجواب ، وأستحلفك أن تفعلى ، ولنعقد الخناصر ونتم الصفقة . ماذا تقولين يا سيدتى ؟

كاترين : فهمت تماماً يا سيدى .

الملك هنرى : بالله إنك لوكلفتنى أن أنظم الشعر أو أرقص إكراماً لك يا كيت . لبدا لك قصورى فليس عندى الكلمات ولا الأوزان اللازمة للأول ، ولا أحسن الخطوات المنسجمة الرقيقة التى لابد منها للثانى . ومع ذلك فإن كل قوة لا بأس بها . فلو كانت استمالة الغوانى بالوثب الطويل أو بالوثب فوق السرج ودرعى فوق ظهرى ، لأمكننى أن أظفر بالزوجة بسرعة . ومعذرة إذا كان فى هذا القول بعض التفاخر المذموم ، أو إذا جاز لى من أجل غرامى أن ألاكم ، أو أثب بجوادى التماساً لعطفها : إذن لضربت بأشد من ضربات الجزار ، ولجلست كالقرد على ظهر الجواد لا أتزعزع ، ولكنى يا كيت لا أستطيع — علم الله — أن أجلس كالحمل الوديع أو أنطق بالعبارات البراقة وليست

لى دراية بالعبارات القوية اللهم إلا ألفاظ القسم[١] . ولست أنطق بها إلا إذا استفززت ولا أحنث بقسم مهما أكرهت . فإذا لم تستطيعى يا كيت أن تحبى شخصاً هذا شأنه : وجهه لا تستطيع الشمس أن تزيده قبحاً ، ولا ينظر إلى المرآة حباً فى منظر يراه فيها ، فلتكن عيناك الوسيلة لتجميل القبيح . إنى أكلمك كما يتكلم الجندى الذى لا يعرف زخرف القول . فإذا استطعت أن تحبينى على ما أنا عليه فخذينى ، وإن أبيت فصدقينى إن قلت لك أنى سأموت ، ولكن تا الله إن حبى لك سيحول بينى وبين الموت ، فأنا — علم الله — مفعم بك إلى أبعد غاية . فاختارى فى الحياة يا كيت العزيزة شخصاً يمتاز بالبساطة والثبات على العهد فإنه سيكون حتماً وفياً لك ومخلصاً ، لأنه لم يرزق المقدرة على المغازلة فى كل مكان ، أما أولئك الفتيان ذوو اللسان البارع فيستطيعون أن يستميلوا الغانيات بالشعر والغزل ، ثم لا يلبثون أن ينصرفوا عنهن بحجة يحتجون بها . ولعمرى إن كثير الكلام لا يعدو أن يكون ثرثاراً وما غزله سوى قواف سخيفة جوفاء . إن الرجل القوية

---

(١) عبارات القسم فى الإنجليزية تشمل طائفة كبيرة من العبارات من القسم البسيط إلى عبارات السب واللعن الفاحش .

قد تعتريها العثرة، والظهر المستقيم يتقوس واللحية السوداء تنقلب إلى بيضاء . والشعر الجعد يغتاله الصلع ، والوجه النضر يذبل ، والعين النجلاء تغور ، أما القلب الطيب يا كيت فإنه كالشمس وكالقمر بل هو كالشمس لا القمر . لأن الشمس تضيء بقوة ولا يعتريها تغير ، بل تلزم مجراها ولا تحيد عنه . فإذا رغبت فى شخص كهذا فخذيني ، فإن أخذتني أخذت جندياً محارباً ، وإن أخذت جندياً أخذت ملكاً . ماذا تقولين إذاً وماذا ترين فى أمر حبي هذا ؟ تكلمي أيتها الجميلة ، وأرجو أن يكون ردك جميلا .

كاترين : أمن الممكن أن أحب عدو فرنسا ؟

الملك هنرى : كلا ليس من الممكن يا كيت أن تحبي عدواً لفرنسا . لكنك إن أحببتني أحببت صديقاً لفرنسا . فإني أحب فرنسا حباً لا أستطيع معه أن أتخلى عن قرية واحدة منها . ولذلك أردت أن تكون كلها لى ، وإذا كانت فرنسا لى ، يا كيت وأنا لك ، كانت فرنسا كلها لك ، وأنت لى .

كاترين : لست أدرك معنى ما قلت .

الملك هنرى : كلا ، يا كيت ؟ إذن سأحدثك بالفرنسية ، وإن كنت واثقاً أنها ستتعلق بلساني ولا تبرحه ، كما تتعلق زوجة

حديثة العهد بالزواج بعنق زوجها . . وليس من اليسير إبعادها عنه . . . عندما أمتلك فرنسا وأنت تملكينني — ثم ماذا ؟ يا قديس دنيز أغثني [1] — . . إذن تكون فرنسا لك وأنت لي . . . أهون عليّ يا كيت أن أستولي على مملكة بأسرها من أن أتكلم بالفرنسية أكثر مما نطقت به . . وهيهات أن تؤثر فيك فرنسيتي اللهم إلا أن تجعلك تضحكين مني .

كاترين : عفواً يا مولاي . إن الفرنسية التي تتكلمها خير من الإنجليزية التي أتكلمها .

الملك هنري : كلا — لعمري — يا كيت ، إن تحدثك بلساني ، وتكلمي بلسانك ، بقلب طيب ولغة رديئة مما يجعلنا متعادلين متكافئين ولكن يا كيت ألا تعرفين من الإنجليزية ما يكفي لفهم هذه الجملة ، « هل تستطيعين أن تحبيني » .

كاترين : لست أدري .

الملك هنري : هل يستطيع أحد من جيرتك أن يخبرني ؟ سأسألهم . إني مع ذلك أعلم أنك تحبينني . وإذا أقبل الليل وذهبت إلى مخدعك أخذت تسألين هذه السيدة عني ، وأنا أعلم

---

(١) St. Denis هو راعي فرنسا كما أن سانت جورج St. Gorge هو قديس إنجلترا وقد أخذ هنري يستنجد بقديس فرنسا ليساعده في إتمام عبارته بالفرنسية .

يا كيت أنك ستذمين لها صفاتى التى تحبينها من صميم قلبك . ولكن ترفقى وأنت تهزئين بى يا كيت الكريمة . وبخاصة لأنك قد شغفتنى حباً ، أيتها الأميرة الرقيقة ، لئن قدر لك أن تكونى زوجى يوماً يا كيت وإن إيمانى ليطمئنى وينبئنى أنك ستكونين لى، فستجدينى شخصاً خشناً يعوزه التهذيب ، ولا بد لك أن تكونى ممن يحسن تربية الجنود وتهذيبهم . أليس من الممكن لك ولى ، بمساعدة القديسين دنيز وجورج ، أن ننجب غلاماً ، نصفه فرنسى ونصفه إنجليزى ، يستطيع أن يذهب إلى القسطنطينية ويشد لحية الترك ؟ أليس ذلك فى وسعنا ؟ ما قولك يا زنبقتى العزيزة[1] .

كاترين : لست واثقة من هذا .

الملك هنرى : كلا إن هذا ما ستحققه فيا بعد أما الآن فلسنا نبغى إلا الوعد . فعليك يا كيت أن تعدى الآن بأن تؤدى الشطر الفرنسى لهذا الغلام . أما الشطر الإنجليزى فاقبلى فيه كلمة

---

(١) حوادث هذه القصة تجرى عام ١٤١٩ والقسطنطينية لم تقع فى أيدى العثمانيين إلا فى عام ١٤٥٣ – وهذا خطأ كثيراً ما يقع فيه شكسبير عمداً أو سهواً . وقد كان ملوك أوربا دائماً يتحدثون عن استرجاع القسطنطينية وشكسبير متأثر بهذه النزعات والزنبقة هى شعار ملوك فرنسا (يقول هذه الكلمة بالفرنسية) .

ملك وأعزب . بماذا تجيبين يا أبدع كاترين فى العالم يا أعز وأقدس الإلاهات عندى ؟

كاترين : إن عند جلالتكم من العبارات الفرنسية الكاذبة ما يكفى لخديعة أعقل فتاة فى فرنسا .

الملك هنرى : دعى جانباً فرنسيتى الكاذبة . ولأقسم لك بشرفى وبلغة إنجليزية صريحة إنى أحبك يا كيت . ولست أجرؤ أن أقسم بذلك الشرف على أنك تحبيننى ، لكن قلبى أخذ يحدثنى أنك تحبيننى ، على الرغم من أن منظر وجهى لا يترك أثراً طيباً أو جذاباً . . تباً لأطماع أبى ! إنه كان مشغولاً وقت مولدى بالحروب الداخلية ولذلك خلقت خشناً جافاً ، وكان مظهرى صلباً كالحديد . فإذا حاولت التودد إلى النساء نفرن منى ، ولكنى واثق يا كيت أنى كلما كبرت تحسن منظرى وأجد السلوى فى أن تقدم السن ، وهو الذى لا يحسن المحافظة على الجمال ، لا يمكن أن يجعلنى أقبح مما أنا الآن — فإن قبلتنى ، قبلتنى وأنا فى أسوأ حال ، وسوف تحبيننى — إن قبلتنى — كثوب يزداد حسناً كلما زدته لبساً ، هلم إذن فأخبرينى ، يا أجمل كاترين ، هل تقبليننى ؟ اطرحى حياء العذارى جانباً ، واذكرى ما يخطر بقلبك وأنت تنظرين نظرات إمبراطورة ،

خذى بيدى وقولى : « يا هنرى ملك إنجلترا ، أنا لك » . فلا تكاد هذه الكلمة أن تسعد بوقعها أذنى حتى أعلن بصوت عال : « إن انجلترا لك ، وإيرلندا لك ، وفرنسا لك . وهنرى بلانتاجنت لك » . وعلى الرغم من أنى أقول هذا الكلام فى حضرته . فإنه إن لم يكن نداً لأحسن الملوك، فإنك ستجدينه خير ملك من الناس الخيرين . هلم إذن فأجيبينى إجابة كالموسيقى المتكسرة ، فإن صوتك موسيقى وإنجليزيتك متكسرة : لهذا أسألك يا كاترين ياملكة الجميع أن تبدى لى رأيك فى لغة إنجليزية متكسرة : هل تقبلينى ؟

كاترين : إن هذا يكون تبعاً لما يرضاه الملك والدى .

الملك هنرى : إن هذا يرضيه جداً يا كيت — إنه يسعده ويرضيه .

كاترين : إذن فإنه يرضينى أيضاً .

الملك هنرى : فلأقبل يدك على هذا ولأدعك مليكتى .

كاترين : دع يدى يا مولاى . دعها . دعها ! فإنى لا أريد قط أن تحط من قدر عظمتك بتقبيل كف واحدة من أتباعك ، غير جديرة بخدمتك ، فأرجوك أن تقبل عذرى يا مولاى ذا القدر العظيم . .

الملك هنرى : إذن أقبل شفتيك .

كاترين : ليس من عادة سيدات فرنسا وآنساتها أن يقبلن قبل زواجهن .

الملك هنرى : سيدتى الترجمانة ! ماذا قالت ؟

أليس : إنه ليس من المعتاد لدى السيدات فى فرنسا . . .
ولا أدرى ما معنى كلمة Boiser باللغة الإنجليزية .

الملك هنرى : التقبيل To Kiss

أليس : إن جلالتكم قد فهمتم أحسن منى .

الملك هنرى : ليس بالأمر المألوف فى فرنسا تقبيل العذارى قبل إتمام مراسيم الزواج . أهذا هو ما قالته ؟

أليس : أجل ، لعمرى .

الملك هنرى : أى كيت ، إن الملوك فوق هذه التقاليد المترمتة . فأنت يا كيت العزيزة وأنا ، لا ينبغى لنا أن نحبس داخل الأسوار البالية لتقاليد بلد من البلاد . إننا نحن الذين نسن السنن يا كيت ، والحرية المخولة لنا بحكم منصبنا كفيلة بأن تغلق فم العذال ، وأنا أيضاً سأغلق فمك بقبلة جزاء لك على التمسك بتقاليد بلادك الصارمة ، التى تريد أن تمنعنى من تقبيلك . إذن تقبلى قبلتى بصبر واستسلام (يقبلها) إن فى شفتيك لسحراً يا كيت . إن فى ملمسهما الحلو العذب ، من الفصاحة أكثر مما فى ألسنة مجلس وزراء فرنسا . وهما أقدر على استمالة هنرى ملك إنجلترا من كل توسلات الملوك . هذا أبوك قد أقبل .

(يعود ملك فرنسا والملكة والنبلاء الفرنسية وبرجندى واكستر ووستمورلند)

برجندى : حفظ الله جلالتكم ! هل كنت يا ابن العم تعلم الأميرة اللغة الإنجليزية ؟

الملك هنرى : لقد أردت أن أعلمها يا ابن عمى العزيز شدة حبي لها ، وهذا ينطبق تماماً على قواعد اللغة الإنجليزية .

برجندى : ألم تكن تلميذة بارعة ؟

الملك هنرى : إن لساننا غليظ خشن يا ابن العم ، ولست ممن يوصفون بالنعومة . وما دمت هكذا بلا صوت ولا قلب يحسن الملق فإنى لا أستطيع أن أستحضر روح الحب ، بحيث يبدو لها فى صورته الحقيقية .

برجندى : ألتمس منك الصفح ، إن أجبتك على هذا فى دعابة شديدة الصراحة ، إنك إذا أردت أن تستحضر الروح فلابد لك أن ترسم دائرة . فإذا بعثت الروح أمامها فى صورته الحقيقية ، فإنه سيبدو عارياً أعمى . وهل يليق بك أن تلومها إذن ، وهى ما برحت عذراء تكسوها حمرة الخجل والعفاف ، إذا هى أبت أن ترى فتى عارياً أعمى ماثلا فى نفسها . إنك بذلك تفرض شرطاً قاسياً يامولاى على فتاة عذراء .

الملك هنرى : ومع ذلك فإنهن يغمزن بالطرف ثم يستسلمن لأن الحب أعمى ولكنه شديد البأس .

برجندى : ولهن العذر فى هذه الحالة يا مولاى لأنهن لا يرين ما يفعلن .

الملك هنرى : إذن علم ابنة عمك ، أيها اللورد العزيز كيف تغمز بطرفها .

برجندى : سأغمز لها بأن ترضى وتقبل ، إذا علمتها أنت كيف تدرك ما أعنى ، فإن الفتيات المحصنات ، المعتنى بتربيتهن يشبهن الذباب فى عيد بارثولوميو[1] ويصبحن ضريرات . وإن كانت لهن عيونهن . عندئذ لا تمانع الواحدة منهن فى أن تلمس، وقد كانت من قبل تأبى أن يُنظر إليها .

الملك هنرى : إن هذه الحجة تحدد لى فرصتى وهى نهاية الصيف الحاضر . وهكذا سأصيد الذبابة ، وهى ابنة عمك فى الجزء الأخير منه . ويجب أن تكون أيضاً عمياء .

برجندى : كما هى حال المحب دائماً ، الذى لم يمارس الحب من قبل .

الملك هنرى : هذا صحيح . وجدير ببعضكم أن يشكر الحب الذى أصابنى بهذا العمى . فلم أستطع أن أرى الكثير من مدن

---

(١) عيد Saint Bartho Lomew هو يوم ٢٤ أغسطس ، إذ يبرد الهواء نوعاً ما فى أوربا فيكون الذباب بطيئاً يتخبط كأنه أعمى . وهذا الحوار كله التى تشبه فيه الفتاة بذبابة وتوصف بالعمى يبدو للقارئ العربى غريباً خارجاً عن الذوق . والظاهر أنه لم يكن كذلك فى اعتبار النظارة فى عهد شكسبير .

فرنسا الجميلة ، بسبب فتاة فرنسية حسناء تقف فى طريق .

ملك فرنسا : بلى يا سيدى . إنك لترى تلك المدن من وراء منظار جميل ، فترى المدن وقد استحالت فتاة ، فإن كلا منها يحيط بها نطاق من الأسوار البكر ، التى لم يخترقها جيش محارب .

الملك هنرى : هل ستغدو كيت زوجاً لى ؟

ملك فرنسا : إذا كان هذا يرضيك .

الملك هنرى : رضيت إذن . أما المدن الأبكار التى ذكرتها فإنها ستكون تابعة لها[1] وهكذا تكون الغادة التى وقفت فى سبيل رغباتى هى التى سترينى الطريق إلى تحقيق آمالى .

ملك فرنسا : إننا وافقنا على جميع الشروط العادلة .

الملك هنرى : هل الأمر كذلك يا لوردات إنجلترا ؟

وستمورلند : لقد وافق الملك على كل بند
ابنته أولا ثم سائر الشروط .
طبقاً للنص الثابت لكل شرط .

آكستر : هنالك أمر واحد لم يقبله بعد .
وهو النص الذى تطالبون فيه جلالتكم بأن ملك فرنسا إذا أراد أن يكتب أمراً خاصاً بمنح أرض أو لقب فعليه أن

---

(١) أى بمثابة هدية (دوطة) تقدم معها عند الزواج .

يذكر اسم جلالتكم فى هذه الصورة باللغة الفرنسية : نجلنا العزيز جداً هنرى ملك إنجلترا ووريث عرش فرنسا ، وبنفس الصورة فى اللغة اللاتينية .

ملك فرنسا : إننى لم أرفض هذا يا أخى ، على هذه الصورة .
وإذا كانت تلك رغبتك ، فإنى أوافق على النص .

الملك هنرى : أرجوك إذن من أجل حبنا واتحادنا
أن يكون حظ هذا البند كغيره من البنود .
وبناء على ذلك أعطنى ابنتك .

ملك فرنسا : خذها أيها الابن الكريم . وأنجب ذرية لى من دمها الزكى . .
حتى يتسنى لفرنسا وإنجلترا ، وهما اللتان تواجه كل منهما الأخرى .
بشواطئ شاحبة ، لشدة ما تضمره كل منهما للأخرى من الحسد .
أن يزول ما بينهما من البغضاء ،
وعسى أن يزرع هذا الاتحاد العتيد فى صدريهما الكريمين
بذور حسن الجوار والوفاق الذى يتمشى مع المبادئ المسيحية
فلا يمكن للحرب أن تشهر سيفها الدامى بين إنجلترا وفرنسا .

الجميع : آمين .

الملك هنرى : والآن مرحباً بك يا كيت ، واشهدوا جميعاً

أنى الآن أقبلها بوصفها مليكتى

(طبول وأبواق)

الملكة إيزابل : الله سبحانه وتعالى ، وهو خير من يعقد الزيجات ،

يوحد بين قلبيكما ، وبين ملكيكما !

فأنتم اثنان رجل وامرأة ولكنكما فى الحب واحد

فليكن بين دولتيكما اقتران لا يستطيع الشر ولا الغيرة ،

وهما كثيراً ما أفسدا الزيجات السعيدة ،

أن يفسدا ما بين المملكتين من عهد وميثاق ،

أو يفصما عروة اتحادهما بالطلاق .

وليعامل الإنجليزى الفرنسى بالحسنى .

وكذلك يعامل الفرنسى الإنجليزى .

والله سبحانه وتعالى يستجيب لهذا الدعاء .

الجميع : آمين .

الملك هنرى : فلنعد العدة لزواجنا . وفى ذلك اليوم

سنقسم اليمين يا لورد برجندى .

نحن وسائر النبلاء ضماناً لهذه العهود .

وسأقسم عندئذ لكيت ، وأنتم تقسمون لى .

ولتكن أيماننا مقرونة دائماً بالوفاء وبالسعادة واليمن

(أبواق عديدة : يخرج الجميع)

(يدخل المعقب)

إلى هنا تسنى لمؤلفنا بقلمه العاجز الخشن
أن يتابع قصته وهو مكب على صحائفه .
وفى هذه الحجرة الصغيرة حشد الرجال العظماء ،
مكتفياً بعرض أجزاء متقطعة من قصة مجدهم الكامل .
والوقت قليل ، ولكنه على قلته . عاش فيه عظيما نجم إنجلترا الساطع .
لقد صقل الحظ سيفه ، وأمكنه أن يكسب به أجمل جنات الأرض .
ثم خلفها لابنه ، وجعله إمبراطوراً عليها .
فتوج هنرى السادس ، ولم يزل فى المهد صبيًّا ،
ملكاً على إنجلترا وفرنسا ، فتولى الملك ،
وتنافس الكثير على إدارة شئون دولته ،
حتى فقدوا فرنسا ، وباتت إنجلترا دامية الجراح
وكثيراً ما عرضنا هذه القصة فى مسرحنا ،
من أجل هذا نرجو أن تتقبلوا هذه المسرحية
وأن تنظروا إليها بعين العطف والإنصاف .

(يخرج)

* * *

رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٨٥٠١
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4234 - 9	ISBN

١ / ٩١ / ٤٢٩
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية مسرحية وعبقرية شعرية معًا، فقد جمع شكسبير بين حس درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من العمق والاتساع جعلت من كل مسرحياته صورًا فنية رائعة للحياة الإنسانية، حلوها ومرها..

ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربي أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر والأدب في العالم العربي لتكتمل بذلك روعة التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.